الطب الشعبى



مركز البحوث والدراسات الاجتماعية

الطب الشعبى لقبائل البشارية فى منطقة أسوان

دراسة فى الإيكولوجيا البشرية

تأليف

نجوى عبدالحميد سعدا

الطب الشعبى لقبائل البشارية في منطقة أسوان

دراسة فى الإيكولوجيا البشرية

نجوى عبدالحميد سعدا

أولاً: مقدمة منهجية

تكشف لنا أدبيات كل من علم الفولكلور والأنثروبولوجيا عن المكانة والأهمية التي يحظى بها الطب الشعبي، لدرجة أنه أصبح يشغل اهتمام العديد من المنظمات والهيئات الصحية في العالم عامة، والدول النامية خاصة. أما على المستوى الأكثر تحديداً قد ترجع هذه المكانة إلى حاجة نسق الطب الشعبي واستخدامه في ميدان الأنثروبولوجيا ليجسد العمليات، أي القوى والعوامل التي تؤدي إلى إفراز أنماط متباينة من أنواع التكيف بين الجماعات والأجناس البشرية في بيئاتها الطبيعية المختلفة لمواجهة المشاكل الخاصة بالصحة والمرض[1]، ضمن توازن بيئي تحافظ فيه الجماعات والمجتمعات التقليدية على العلاقات المتوازنة بين احتياجاتها وقدرات وإمكانات البيئة على العطاء، إلى جانب إلقاء الضوء على الأساليب والممارسات الشائعة، والعناصر البيئية المستخدمة، والقائمين بالعلاج الشعبي.[2]

واتساقاً مع ما سبق، تكشف نتائج دراستنا الاستطلاعية لنسق الطب الشعبي لبدو البشارية، عن مدى العلاقة الوطيدة بين الإنسان البدوي ومكونات بيئته الطبيعية، وأساليب تكيفه معها. فالرجل البشاري يعالج نفسه وذويه بوسائل بسيطة، قوامها النباتات والأعشاب الطبيعية التي تنمو في بيئته الصحراوية، وعلى سفوح الجبال، والتي قام باستخلاص العناصر العلاجية منها. حتى أن ممارساته العلاجية جاءت معتمدة في المقام الأول على الاستعانة بعناصر البيئة الصحراوية من رمل، وأعشاب، وزيوت نباتية، ودهون حيوانية، ووبر الأغنام.

ولقد ظلت هذه الممارسات العلاجية تمارس، وتتناقلها الأجيال تلو الأجيال حتى وقت إجراء دراستنا الحالية، حتى أصبحت جزءاً من نسيج التراث الثقافي البدوي، والذي ساهم في تميزهم عن غيرهم من المجتمعات الريفية والحضرية.

ومن هذا المنطلق تشكل الدافع الحقيقي نحو إجراء هذه الدراسة، وإن كان هناك دوافع مسبقة لإجرائها[*].[٣]

وبناء على ذلك تسعى الدراسة الحالية للرد على مجموعة من التساؤلات:

١- إلى أي حد يؤدي التفاعل بين عناصر البيئة الطبيعية البدوية وبين نشاط البدو الاقتصادي إلى الإصابة ببعض الأمراض؟

٢- إلى أي حد أدى التفاعل بين كل من الخبرات الإنسانية للرجل البدوي مع عناصر البيئة الصحراوية للوصول إلى وصفات وممارسات علاجية ووقائية؟

٣- إلقاء الضوء على المكنون الثقافى وعلاقة التفاعل بين الممارسات العلاجية والوقائية، وبين خصائص البيئة الطبيعية لبدو البشارية، وما يتوفر بها من عناصر طبيعية مثل: الرمال، والأعشاب، والنباتات، والعيون، والآبار.

وذلك راجع إلى ما تؤكده لنا إحدى المسلمات الثقافية بأن مرجع معظم أنواع الطب الشعبي وممارساته العلاجية في الثقافات المتباينة قد صبغت أو تشكلت بناء على خصوصية العناصر البيئية. فاجتهد الإنسان فيها باستغلال هذه العناصر الطبيعية في بيئته، واستخلص منها عناصر علاجية ووقائية متعددة، لتلبية حاجة من حاجاته وهي كيفية الوقاية من المرض والتداوي للتصدي للألم أو التغلب عليه.

٤- إلقاء الضوء على ملامح التغير في هذا الجانب من ثقافة المجتمع البدوي، وما هي العوامل المتسببة في ذلك.

- **أما الإطار النظرى:**

اتخذت الدراسة من بعض قضايا الاتجاه الوظيفي إطاراً نظرياً لها على

(*) نمت بذور دراسة الطب الشعبي البدوي أثناء قيام كاتبة هذه السطور بجمع المادة الميدانية لنيل درجة الماجستير عام ١٩٨١، بعنوان "نظام القرابة" حيث كان بدو البشارية ضمن مجتمعات الدراسة، وكانت تهدف الباحثة حينذاك من دراستها إلى الوقوف على طبيعة القرابة ووظيفتها لدى بدو البشارية المقيمين شرق مدينة أسوان بالصحراء الشرقية. أما الدراسة الثانية فكانت عن الأولياء بعنوان "أبو الحسن الشاذلي - سلاف قبائل العبابدة المصريين". وها هي الدراسة الثالثة في إطار منظومة توليها الباحثة اهتمامها وهو محاولة لدراسة الثقافة البدوية لقبائل العبابدة والبشارية بالصحراء الشرقية، حيث ندرة الدراسات الأنثروبولوجية والفولكلورية باستثناء الدراسات الجغرافية (محمد عوض، كوثر عبد الرسول، رحلات بوركهارت).

النحو التالي:

- الدور الوظيفي لنسق الطب الشعبي بالنسبة للنسق الثقافي العام.

- نسق الطب الشعبي في ضوء علاقته بالسياق الاجتماعي والثقـافي، ونمـط النشاط الاقتصادي البدوي، وعلاقته بالبيئة الطبيعية.

- **وأما الإطار المنهجي:**

تعتمد الدراسة على المنهج الأنثروبولوجي الذي حتم ضرورة الانتقال إلـى فروع القبيلة البشارية، وأسرهم المقيمـين بالمنـاطق الصـحراوية والريفيـة والحضرية. كما تمكنت الباحثة من مقابلة بعض الإخبـاريين مـن المعـالجين الشعبيين ممن لديهم خبرة في التطبيب والعلاج الشعبي، فضلاً عـن اسـتخدام الطريقة الجينولوجية للكشف عن الزواج القرابي، وما ترتب عليه مـن ظهـور بعض الأمراض الوراثية في أجيال الأبناء والأحفاد. بالإضافة إلى ذلك قامـت الباحثة بتصميم دليل العمل الميداني، إلى جانب الاستعانة بدليل الدراسة العلمية للمعتقدات الشعبية، وعلى وجه الخصوص الجزء الخاص بالطب الشعبي. وقـد تم ذلك بعد إدخال بعض الأسئلة والتعديلات بما يتلاءم والخصوصـية الثقافيـة لبدو البشارية.

- **أما عن مفهوم الطب الشعبي: Traditional Medicine**

تعددت المسميات التي تداولت مفهوم الطـب الشـعبي فـي المصـادر والقواميس المتخصصة. فتارة أطلق عليه بالطب اللاإحيـائي non-biomedical - أو الطب البديل Alternative medicine - الطب السلالي Ethnomedicine - الطب الشعبي الطبيعي Natural folk medicine - الطب الشعبي النباتي Herbal folk medicine - الطب البدائي Primitive medicine (٤)

- **أما على المستوى الأوسع:**

تباينت التعريفات فقد جاء تعريف دون يودر Don yoder للطب الشـعبي: "جميع الأفكار ووجهات النظر التقليدية حول المرض والعلاج وما يتصل بـذلك من سلوك وممارسات تتعلق بالوقاية من المرض ومعالجته، بصرف النظر عن النسق الرسمي الطبي العلمي"(5). أما تعريـف دبـر توفـام Debr L.Topham فيقول: "هو التطبيب من الأمراض والأعـراض عـن طريـق الأعشـاب أو

الممارسات التقليدية والتي أمكن التعرف عليها منذ زمـن بواسـطة مطببـين محليين أو شيوخ دين"[٦].

في حين جاء تعريف شارلوت سيمور-سميث في موسوعة علم الإنسـان بأنه "طائفة واسعة من الممارسات الرسمية المتخصصة للطب الغربي التقليدي. وترجع أصول هذه الممارسات والوصفات العلاجية، أو تراث الطـب التقليـدي سواء كان محلياً أو مستورداً والتي تتخذ ممارسته قدراً من الرسمية تبعاً لتأهيل وكفاءة ممارسيه"[٧].

وتأسيساً على ما سبق من تعريفات جاء مفهومنا للطب الشعبي، ونقصد به "كل المساعي أو الأساليب التي يقوم بها الإنسان لمواجهة الأعراض المرضـية سواء عن طريق الأعشاب، أو النباتات (مواد غذائية)، والمعـادن، والأجـزاء الطبيعية من جسم الحيوان، أو استخدامه للرقي والتعاويذ والكلمـات المقدسـة (القرآن – التسبيح)، وما يترتب على ذلك من وصفات أو ممارسات وقائيـة أو علاجية سواء كان القائمون على إعـدادها وتجهيزهـا واسـتخدامها أعضـاء الأسـرة بأنفسهم أو بواسطة مطببين محترفين أو شيوخ دين".

وبذلك يتضح، أننا نقصد من تعريفنا الإجرائي للطب الشـعبي فـي هـذه الدراسة، أنه يعنى الجمع بين أساليب التطبيب الوقائية والعلاجية التقليدية التـي قاوم بها الانسان البدوي المرض بغية الشفاء، سواء كان هذا العلاج بالمنزل، أي من خلال ممارسات علاجية تجرى بمعرفة أفـراد العائلـة العـاديين. وهـذه الممارسات قائمة على الخبرة المكتسبة من التجارب الموروثة، وساهمت التنشئة الاجتماعية في المحافظة على هذا التراث جيلاً بعد جيـل، أو يـتم ممارسـته بواسطة معالجين محترفين، سواء شيوخ دين من خـلال الاسـتعانة بالكلمـات المقدسة (آيات القرآن الكريم – التسبيح)، أو بعض المتخصصـين المحتـرفين بتجهيز وإعداد وصفات وممارسات علاجية قوامها وعناصرها البيئية الطبيعيـة للبيئة البدوية الصحراوية، مثل الرمال، والأعشاب، والزيوت النباتية، ودهـون الحيوان، والفحم، والسكر، والبيض، واللبن. وبالتالي عمـل عمليـات وقائيـة علاجية مثل: الفصد والكى بالنار وتجبير العظام المكسورة. أو استخدام العلاج بالرقى والتعاويذ، خصوصاً في الحالات التي يكون للأرواح والشياطين دخـل فيها.

وعلي المستوى الأكثر رحابة، يجد الطب الشعبى شأنه في ذلك شأن غيـره من موضوعات علم الفولكلور، يجد في الثقافة التقليدية والثقافات الفرعية بيئـة صالحة لنموه وإزدهاره.

كما يؤكد بوتنر Bottner بـأن المتـرددين علـى الممارسـين الشـعبيين المحترفين، عادة ما ينتمون إلى جيل الأجداد والآباء مـن الفلاحـين والبـدو، مصطحبين معهم ذويهم من صغار السن بغيـة علاجهـم وذلـك بعـد فشـل الممارسات العلاجية بالمنزل. ثم يأتي العلاج بالرقى والتعاويـذ فـي المحـل الثالث(٨).

وفي دراسة أنثروبولوجية عن فلاحى الصعيد تشير بلاكمان Blackman إلى تعدد أساليب الطب الشعبى خاصة للأطفال، نظراً لكثرة تعرضهم للأمـراض، ومن ثم كثيراً ما تلجأ الأمهات إلي السحرة المتخصصين لعلاج أطفالهن بعمـل الأحجبة، وحمل التمائم لحمايتهم من العين الشريرة والحسد، أو أذى القرين(٩).

وفي دراسة عن الاستخدامات الطبية لكثير من الأعشاب والنباتات، يشـير "باندولف"Pandolph إلي أن هناك كثيراً من الأعشاب والنباتـات التـي تغلـى وتشرب، وأخرى تطحن وترش، بالإضافة إلي استخدام أوراق التبـغ كعـلاج للجروح وآلام البطن. وتقوم نساء متخصصات بـالعلاج عـن طريـق أوراق التبغ(١٠). وقد اتفقت كل من نتائج دراسة فوزى عبد الرحمن عـن الممارسـات الطبية الشعبية، ودراسة حسن الخولى عن الفروق الريفية والحضرية بين علـم الاجتماع وعلم الفولكلور، حيث اتفقت الدراستان فى بيان الاستخدامات الطبيـة للأعشاب والنباتات، فكانت أوراق التبغ لها مكانة في الوصفات العلاجية، حيث لاحظ كل منهما أن استخدام الدخان (السجائر) كعلاج للحروق في ريف محافظة الدقهلية. أما ريف وبدو محافظة الفيوم فيستخدمون الـدخان (المعسـل) لـنفس الغرض. ولكن توقفت هذه الممارسة في الدقهلية واقتصـرت علـى اسـتخدام (الرماد) أو العادم المتخلف من حريق السجائر، أما في الفيوم فمازال يسـتخدم الدخان المعسل.(١١)

أما دراسة بول كومساروف Paul, A. Komsaroff عن الممارسات العلاجية في تايوان والصين، فتكشف عن مواد علاجية شـعبية ذات طبيعـة معدنيـة، وأخرى حيوانية كالطين وأعضاء الحيوان، في علاج بعض الأمراض المعديـة

كالجرب والجذام[١٢].

وتشير بعض الدراسات الفولكلورية المعاصرة إلى استخدام عناصر سحرية كالرقى والتعاويذ كوصفات علاجية. فتسخير الأرواح يعد في الصومال وسـيلة سحرية تستعين بها المرأة لممارسة الضغط علي الزوج وأسيادها، كما تأكد ذلك من نتائج كل من الـرواد إيفـانز برتيشـارد Evans Pritchard عنـد النـوير وكلاكهون عند النافاهوNavaho إلي جانب اعتماد بعض السحرة المحترفين على أساليب العلاج السحري، للتخاص من الأعـراض المرضـية لـدى المرضـى النفسيين والعصبيين.[١٣]

أما علي المستوى الإمبريقي لجمع المادة الإثنوجرافيـة لموضـوع الطـب الشعبى، فيشير محمد الجوهرى أنه على الباحث أن يفاضل بين أسلوبين:

الأول: بأن يبدأ الباحث بالسؤال الأول عن الأمراض التي يفيد فيهـا اسـتخدام عنصر معين(عشبى، نباتى، طبيعى) أى أن الباحث يطبق منهج الاستفسـار، أو السؤال عن المرض الذى تستخدم في علاجه عناصر معينة. وهنا يقوم الباحـث بذكر أمثلة لهذه العناصر، حتى يساعد الإخبارى على أن يضيف ما لديـه مـن عناصر لازمة للعلاج، مثلاً: (آلام البطن إيه اللى يستخدم له كعلاج؟) (الثوم أو النعناع، أو الحرجل؟).

الثانى:أن يقوم الباحث بإعداد قائمة بالأمراض الشائعة في مجتمع الدراسة، ثـم يسأل الباحث عن الوصـفات العلاجيـة أو العناصـر اللازمـة لعـلاج هـذه الأمـراض، مثلاً☹إيه الوصفات اللى بتعالج السخونية والحمى، الصداع، ديدان البطن، ألم الكلى؟[١٤]

وبناء علي النتائج الأولية للدراسة الاستطلاعية للباحثة لمجتمع دراستها، آثرت الباحثة المزاوجة بين الأسلوبين، نظراً لخصوصـية مجتمـع الدراسـة وثقافتهم من جهة، وطبيعة موضوع الطب الشعبى من جهـة أخـرى. وبعـد الانتهاء من جمع المادة الإثنوجرافية وتحليلها، لاحظت الباحثة أن الجمـع بـين الأسلوبين أثناء الجمع الميدانى قد أثرى الدراسة بمادة ميدانية وفيرة عن نسـق الطب الشعبى البدوى، حيث ساهم الأسلوب الأول في التأكيـد علـي العلاقـة الوطيدة بين عناصر البيئة الطبيعية البدوية الصحراوية، وبين صياغة نمط ثقافى علاجى شعبى، يتسق مع مكونات وخصائص البيئة الصحراوية، أما الأسـلوب

الثانى: فكشف عن درجة ميل المجتمع إلي التغير في استخدام عناصر علاجيـة غير شعبية، وذلك من خلال معرفته بالأمراض الجديدة وأساليب علاجها.

مجتمع البحث

أجريت الدراسة علي قبيلة العلياب البشارية وبيوتها الواقعة شـرق منطقـة أسوان بالصحراء الشرقية، وكذلك البيوت البشارية التي تسكن علـى الحـدود الشرقية لمدينة أسوان وقراها حتى حدود مدينة "دراو" شمالاً.

اختلف العلماء حول أصل تسمية بدو البشارية بهذا الاسم. فتشـير بعـض المصادر التاريخية إلى أن سبب التسمية يرجع إلى رجل يلقب باسم "بشير بـن مروان بن إسحق"، نزح إلي أراضى"البجة" في القرن الرابع الهجرى – العاشـر الميلادى – ومعه ثلاثون ألف رجل من الجوارب. وهـم فـروع أخـرى مـن "البجـة"، كانوا وثنيين ثم اعتنقوا الإسلام في عهد مبكر. ثم جاء بهم وسكن في أراضى "البجة".

في حين يكتب محمد عوض: "البشاريون يزعمون بأن جدهم"كاهل" الـذى يرجعون نسبه إلي الزبير بن العوام، وأن أجدادهم كانوا يعيشون فـي"علبـة"، والواقع على بعد عشرة أميال إلى الغرب من صحراء عيذاب. ويتفق هذا الزعم مع كواهل في كردفان، كما يتفقون مع البشارية بأن جدهم أنجب ثلاثة عشر ولداً من الذكور من بينهم من يدعى بشار. ثم يضيف محمد عوض بأن هناك بعض الأمراء من العرب(قبيلة كاهل) قد أصهر إلى بعض"البجة"(قبائـل البشـارية). ومن المرجح أن الذين أصهروا كانوا فعلاً ينتمون إلي بنى كاهل وإلى أحد أبنائه المسمى بشار فاشتق منه اسم البشاريين.[١٥]

وقد تعددت الروايات عن تاريخ البشاريين، فقد أشار ابـن بطوطـة فـي رحلاته إلى صحراء عيذاب، أنه صادف جماعات من البجة ومن بنى كاهـل متجاورين. ويشير ابن بطوطة في الروايات التي ترجع إلى القرن الحادى عشر، بأن بشار له ولدان وبنت كوكا وكليان والبنت فاطمة. ويذكر بأن لـيس للابـن كليان أهمية في تاريخ البشارية على العكس من الابن كوكا، فقـد كـان فقيهـا وقاضياً وتاجراً في آن واحد، وكان كوكا أيضاً يقضى الصـيف إلـى جـوار

جبل"علبة"[*] والشتاء في مصب وادى "العلاقى". أما أخته فاطمة فكانت كثيراً ما تؤدى واجبات أخيها. وهناك رواية يذكر فيها خطف فاطمـة، وأخـرى تؤكـد هروبها مع عشيقها، ثم ولدت ولداً اسمه عنقود Anakwd. ويرجع الفضل لهـذا الشاب في إعادة ملك وادى العلاقي من غاصبه وبسط نفوذه عليه.

ونخلص من هذه القصة إلى أن الجد الأول بشار، والجد الثانى كوكا، والجد الثالث والأخير عنقود الذى يرجع إليه الفضل في تأسيس القبيلـة بقسـميها: أم على، وأم ناجى.

١-بشاريو أم علي: يشتملون علي أربعة أقسام: العلياب، العمراب، حمـدوراب وبشاقطيراب، أغلبهم في السودان، وهناك فروع منهم داخل الحدود المصـرية. أما العلياب فيتركزون بجوار مدينة أسوان، والحمدوراب بجوار دراو.

٢-بشاريو أم ناجى: يشغلون جميع أقاليم عطبرة والأجزاء الجنوبية الغربية من العتباى. أما القسم الشمالى فيشتمل علي الإيراباب، والمنصوراب، والنافعـاب، والعدلواب. وأما القسم الجنوبى فيعيش فيه حمداب، وإبراهيماب.[١٦]

الأقاليم الجغرافية لفروع قبيلة العلياب البشارية

يشير ساندرز في مقال البشاريين The Bisharian المنشور في مجلة S.N.R (عدد عام ١٩٣٣، الجزء الثانى) بأن هناك أربعة أقاليم لإقامة البشـاريين هـى على التوالى:

الإقليم الأول: الجونيب Gwineb وهو إقليم يشتمل على المنحـدرات الشـرقية لجبال البحر الأحمر والسهول الساحلية وجميع الأراضى التي تقع على البحـر الأحمر. ويمتاز هذا الإقليم بالأمطار الشتوية من شهر نوفمبر إلي شهر مارس.

الإقليم الثانى: العتباى: يمتد هذا الإقليم من المرتفعات الشرقية إلى وادى فبقيعة في الغرب، ومن الحدود المصرية شمالاً إلي وادى عامور جنوباً. ويلاحـظ أن الحياة النباتية تتبع للظاهرات المناخية لهذا الإقليم، فالمطر يكـون أكثـر فـي المرتفعات، وبذلك يكثر العشب والشجر، ثم يأخذ النبات في الندرة تدريجيا حتى ينعدم.

(*) تعتبر هذه المنطقة مقدسة في نظر قبائل البشارية وتجارتهم، وذلك لاعتقادهم بأن(الولى) كوكا لونكو انقلب إلى حجر صوان، وأنه موجود في إحدى مغـارات الجبـل، وأن رياحـاً موسمية شديدة الحرارة تهب من هناك. ولذا يحتفل بمولده كل عام في شهر ربيع.

الإقليم الثالث: تماراب Tamarab : يأخذ شكل المثلث: قاعدته وادى عـامور شمالاً ورأسه في الجنوب عند مشروع متاتب Mitateb على الضفة اليمني لنهر العطبرة. ويتشابه هذا الإقليم مع إقليم العتباي من حيـث وجـود عديـد مـن التضاريس مع سلسلة متقطعة من الكثبان الرملية، وتمتاز هذه الكثبان بأنها أكثر نباتاً وذلك لأن المطر يتسبب في غزارة العشب حولها. (١٧)

الإقليم الرابع: هو النهر: يقصد بالنهر، نهر عطبرة، وهو إقليم صغير المساحة، يقع بالضفة الغربية للنهر، يأخذ شكل مثلث. يمتاز هذا الإقليم عن غيـره مـن الأقاليم بالسهول الموازية للشاطئ الجنوبي للنهر التي سـاعدت علـى وجـود مراعي جيدة وعلى الزراعة أيضاً. (١٨)

وعموماً، في ضوء الظروف الطبيعية لقبائـل البشـارية، تتسـم حيـاتهم بالبـداوة والتي لها طابع خاص تبعاً لسقوط المطر، فنجد أن الحركة لا تتم فى تجمعات كبيرة العدد، وإنما تأخذ طابع جماعات صغيره تتراوح ما بين خمس أو ست أسر، وذلك لعدم اتساع المراعي.

ثانياً: تفاعل الإنسان والبيئة وأنماط المرض

تشير شواهد المادة الميدانية إلى أن بدو البشارية أكثر خضوعاً للبيئة مـن غيرهم من البيئات الريفية والحضرية، بالإضافة إلى أن نمط معيشتهم ونشاطهم الاقتصادي يعتمدان على الموارد الطبيعية الخام للبيئة. فبدو البشارية يعيشـون في الصحراء الشرقية، سواء في خيام أو منازل شبه ريفية (بالقرب من مدينـة أسوان ودارو)، ويمارسون النشاط الرعوي حيـث يرعـون الإبـل والمـاعز والأغنام. بالإضافة إلى مزاولتهم لنشاط اقتصادي آخر هـو جمـع الأعشـاب والنباتات الطبية التي تنبت بعد هطول الأمطار في فصل الشتاء، وعلى سـفوح الجبال في الصحراء الشرقية. وهذا النشاط بدوره أكثر اعتماداً على الطبيعة وما أعطاها ا قدرة الإنبات، وقدرة النباتات والأعشاب العلاجية والوقائية، ثم العمل بتجارة الأعشاب والنباتات التي يقومون بجمعها لتجارة العطـارة فـي مدينـة أسوان.

ومازال النشاط الرعوي يمثل حجر الزاوية في النشاط الاقتصادي في البيئة البدوية الصحراوية عامة، ولبدو البشارية خاصة. ومن سماته التنقل والحركـة المستمرين طوال العام مستخدمين الإبل والحمير لمتابعة قطعان الإبل والمـاعز

والأغنام. وتارة أخرى يقومون بجمع النباتات والأعشاب الطبية من فوق سفوح الجبال، بالإضافة إلى نشاطهم بنقل بضائعهم إلى الأسواق المحلية الأسبوعية في مدينة أسوان (سوق الخميس)، ومدينة دراو (سوق الجمال).

ولقد لوحظ بالمعايشة أن انتقالهم من مكان إقامتهم إلـى القـرى والمـدن المجاورة يعتمد في الأغلب الأعم على الاستعانة بالـدواب (الإبـل والحميـر) باستثناء بعض البيوت التي تقطن بجوار مدينة وقرى مركز أسوان، فيعتمـدون على سيارات الركاب، أو سيارات النقل.

وتأسيساً على ما سبق جاء تفاعل بدو البشـارية مـع بيئـتهم ونشـاطهم الاقتصادي تفاعلاً إيجابياً، بمعني أنهم لم يسيئوا استخدام البيئة ولم يلوثوها. على عكس ما هو قائم في بيئات أخرى كالريف والحضر والمناطق الصناعية.

١-البيئة البدوية كوعاء للمرض

تجمع غالبية آراء أعضاء بدو البشارية على أن مفهوم المرض: "ألا يشتكي الزول (أى الشخص) من أي ألم ودايماً نايم في البيت ومش قادر يعمـل". أمـا مفهوم الصحة يعني: "القدرة على العمل والحراك في النهار وفـي الليـل فـي الحـر والبرد ولا يكل ولا يتعب الزول منا". ونستخلص من مفهـوم الصـحة والمرض لدى بدو البشارية أن الاعتقاد السائد حول الإنسان السليم هـو الفـرد القادر علي أداء أعماله في ظروف البيئة الطبيعية(بما فيها من ريـاح وحـرارة وبرودة). وأن عدم الحركة والالتزام بالبيت وكثرة الشكوى هـى مـن سـمات الرجل المعتل.

في حين أننا إذا تأملنا الظروف وسمات البيئة البدويـة الصـحراوية لبـدو البشارية، سنجدها في جملتها بيئة تجمع بين المتناقضـين: مقومـات الصـحة ومقومات المرض وهى علي النحو التالى:

أ- تتميز البيئة البدوية الصحراوية بالاتساع اللامحدود، وهذا علـي المسـتوى الميكرو. أما علي المستوى الماكرو فجميع مساكن البدو البشـارية إمـا خيـام مصنوعة من صوف الإبل والأغنام، أو منازل ريفية عبـارة عـن حجـرة أو حجرتين مسقوفتين بسقف النخيل، ملحق بهما حوش كبير لمبيت الحيوانات.

وهذا النمط من المساكن بقدر ما يتميز بالتهوية الجيدة وتـوفير الإضـاءة

الطبيعية بدخول الشمس المسكن طوال ساعات النهار، إلا أنـه يتعـرض فـي فترات هبوب الرياح لتيارات هوائية مترية وباردة شتاء حارة صيفا، وممـا لا شك فيه أن هذه التيارات الهوائية تؤثر علي صحة أفراده، فيترتب علـي ذلـك الإصابة بالنزلات الشعبية والصدرية والزكام والكحة للأطفال والبالغين.

ب- البيئة البدوية الصحراوية لبدو البشارية غالبا ما تكثر بها الرمال وتيـارات الهواء والرياح الحارة والباردة، وتتباين فيها درجات الحرارة في اليوم الواحـد، صباحاً ومساءاً، بشكل حاد، وعلى المستوى الفصلى قد تصل درجة الحرارة في شهر يناير إلي ٢٣,٧ درجة والنهاية الصغرى ٩,٦ درجة بفارق ١٤,١ درجة. أما في شهرى يوليو وأغسطس فتصل النهاية العظمى إلي حوالى ٤٢ درجة في الظل والصغرى ٢٥,٦ درجة أى بفارق حوالى ١٦,٤ درجة.

والخلاصة، أن بدو البشارية يعيشون معظم أوقات السنة في منـاخ قـاري شديد الحرارة نهاراً، شديد البرودة ليلاً، مما يحدث خللاً مـن حـرارة الجـو والحرارة الداخلية لأجسامهم. ولذلك كثيراً ما تنتشر الأمـراض الروماتيزميـة بأشكالها (آلام الظهر، آلام المفاصل، عـرق النسـا)، والأمـراض الصـدرية (أمراض الجهاز التنفسى كالحساسية الصدرية والكحة والربو).

ج- البيئة البدوية الصحراوية لبدو البشارية قليلة المـوارد المائيـة، لـذا فهـم يعتمدون على المياه الجوفية- الآبار والعيون- في قضاء حاجاتهم من الشـرب والطهى والنظافة. وغالباً ما تكون هذه النوعية من المياه إما ملحـة أو شـديدة الملوحة، مما يسبب لهم آلام المعدة وعسر الهضم وتقلصات الأمعاء وأمـراض الكلى.

د- البيئة البدوية الصحراوية عامة وبيئة بدو البشارية خاصة، مرتع للحشـرات والزواحف الضارة بصحة الإنسان: مثل الثعابين والعقارب، و(ثعبان الطريشة)، وجميع هذه الحشرات والزواحف تمثـل مصـدر خطـر لسـاكنى المنـاطق الصحراوية.

وعلي المستوى الأكثر تحديداً، فإن مورفولوجية المسكن البدوى تمثل وعاء جيدا للإصابة بلدغ الحشرات والزواحف والحيوانات. وبالرغم من أن مسـاكن البدو البشارية تنقسم إلي نوعين: الأول الخيام المصنعة من صوف الأغنام ووبر الإبل. والنوع الثانى هو البيوت التي توجد على حدود مدينة أسوان وقراها. فهم

يسكنون في مساكن ريفية ذات طابق واحد أو اثنين. وغالباً ما يكون السقف من جريد النخيل وفروع الأشجار أو عـروق الخشـب، وتبقـى الجـدران بـدون طلاء(محارة). وبالتالى تكثر فيها الفجوات والفتحات الناتجة عن تباين أحجـام مواد البناء (الدبش – الحجر الرملى)، فتتحول معظم جدران هذه المساكن إلـي مأوى للكائنات البيئية الخطيرة (الأفاعى، الثعابين، الحيات، العقارب، الأبراص، الفئران)، حيث يتعايش أعضاء البيت الواحد باختلاف أعمارهم مع هذه الكائنات على أنها تشاركهم الإقامة في نفس المسكن، من حيث عدم إبداء أى محاولـة أو بادرة لمقاومتها أو الفزع والخوف منها عند رؤيتها علي جـدران المسـكن، أو عندما تخرج من جحورها أو مخابئها، أو أثناء تحركها للانتقال من مكان إلـى مكان أخر، بحثا عن الدفء (الثعابين) أو عن فريسة تلتهمها، خصوصـاً فـي فصل الصيف حيـث يشـيع النـوم علـى الأرض علـى أبـراش وبجـوار الجدار(العقرب- الحية-البرص) فيتعرض الصغار والكبـار للـدغ والإصـابة بسمومها التي غالبا ما تؤدى إلى موتهم[١٩].

أما عن التقسيم الداخلى لمسكن بدو البشارية سواء منهم من يقيم في خيـام داخل الصحراء أو البيوت التي تقيم بجوار المدن والقرى، فغالباً ما يلحق بآخره (حجرة – أو خيمة) طبقا لحجم الأسرة تعرف بالحوش، يكون مخصصاً لمبيـت الحيوانات والطيور ليلاً. أما أثناء النهار فتمثل كل من الحيوانات والطيور جزءاً من مكونات المسكن.

ولقد كشفت الملاحظة المتكررة عن عدم وجود حدود فاصلة بـين مكـان معيشة الإنسان ومكان معيشة الحيوان، وبالتالى فإن ما يعلق بأجسام الحيوانـات من حشرات (الذباب والبراغيث والقراد) يتسبب فـي إصـابة أفـراد الأسـرة بأمراض الحيوان. ومن هذه الأمراض مرض الدرن الذى يحمله جلد الماعز.

هـ- المسكن البدوى وعاء يخلو من مقومات النظافة: لقد كشفت المعايشة لبدو البشارية بأن الغالبية العظمى من مساكنهم (خيام أو منزل ريفى) تخلو من المواد اللازمة للنظافة، وتأتى المياه على رأس هذه المواد اللازمة لعمليـة النظافـة، حيـث تباعد أماكن الآبار عن مساكن البدو، مما يجعل عملية نقل المياه – علي الدواب علي رؤوس النساء- لمسافات تبلغ من ١,٥ –٢ كيلـو متـر عمليـة شاقـة، ويجعل الحصول عليها والتعامل معها يتمان دائماً فـي حـرص وفـى

أضيق الحدود. هذا إلي جانب عدم توفر الوعى الصحى لدى السيدات البدويات، بسب ارتفاع نسبة الأمية بينهم، وبالتالى ليس هناك أى وعى بعمليات النظافـة الشخصية، من غسيل الأيدى واستحمام للبالغين والأطفال، مما أدى إلـي عـدم الاهتمام بتوفير المواد اللازمة لنظافة جسم الإنسان، وبصفة خاصـة الأطفـال (مـن صابون وملابس داخلية)[٢٠].

كما لوحظ من العادات الشائعة لدى أسر البدو البشاريين، أن نجد أطفـالهم وقد اعتادوا علي تناول طعامهم أثناء اللهو مع أطفال آخرين، أو مع الحيوانـات الموجودة داخل الحيز المكانى أو أمام المسكن. ولذا نلاحظ أن الطفل كثيراً مـا يترك الطيور والحيوانات تأكل من نفس الإناء الذى يأكل فيه. وبالتـالى يـؤدى ذلك إلي اختلاط لعاب الحيوان بطعام الطفل، مما يؤدى إلي إصـابة الأطفـال بالأمراض المختلفة – نزلات معوية – تسمم – أمراض جلدية – نتيجـة لهـذه المخالطة للحيوانات.

و-الزواج القرابى والأمراض الوراثية: تتفق الشواهد الميدانية لدراستنا الحاليـة مع نتائج سابقة لكاتبة هذه السطور عن قوة النسق القرابى في البناء الاجتماعى لبدو البشارية، من حيث قيامهم بوظيفة التوازن الاجتمـاعى لهـذه التجمعـات البدوية ذات الكثافة السكانية القليلة من جهـة، وبـين طبيعـة البيئـة البدويـة الصحراوية القاسية والفقيرة للكثير من الموارد الطبيعية اللازمة لتحقيـق حيـاة مستقرة وآمنة لساكنى هذه المناطق. وهكذا دعمت ميكانيزمات الثقافة البدوية من إعلاء قيمة الزواج القرابى، الذى يساهم في تكوين تجمعات قرابيـة عاصـبة، يعملون معاً في نشاط اقتصادى واحد هو: الرعى، والتجارة، وجمـع النباتـات والأعشاب الطبية، بغية تحقيق التكيف مع البيئة.

أما على المستوى الأوسع، فقد أعلا بدو البشـارية من قيمـة العلاقـات القرابية العاصبة[٢١] كتدعيم لوحدتهم وتماسكهم في مواجهة النقص في الكثافـة العددية، والعوز الذى تفرضه عليهم البيئة البدوية الصحراوية. أما على المستوى الأضيق، فقد كشفت نتائج الطريقة الجينولوجية لهذه التجمعـات عـن ظهـور الجانب السلبى للزواج القرابى، متمثلا في الأمراض الوراثية التي ظهرت فيمـا بين جيل الأبناء والأحفاد، كالتشوهات الخلقية مثل: الصمم، والـبكم، والعمـى، والكساح، ونقص الوزن، وأمراض القلب.

ز-افتقار البيئة البدوية الصحراوية لبدو البشارية عن توفر العناصر الغذائية: لقد كشفت الدراسة الميدانية عن افتقار البيئة الطبيعية لبدو البشـارية لكثيـر مـن العناصر الغذائية اللازمة للطعام الصحى، مثل الخضراوات والفاكهة الضرورية ليتحقق الغذاء المتكامل بالنسبة لأعضاء المجتمع. هذا بالإضـافة إلـي اعتمـاد أعضاء مجتمع البشارية بشكل مباشر علي ما تقدمه البيئة الطبيعية الصـحراوية من إمكانيات وعناصر في صورتها الأولية، مثل ألبان الماشية والماعز والإبـل التى اعتادوا استخدامها بصورتها الأولية (بدون غلي) من جهة، وعدم مراعاتهم لقواعد النظافة بالنسبة لجسم الحيوان أثناء عملية الحلب ومـن جهـة أخـرى، وكذلك القائمين بعملية الحلب. هذا فضلاً عن انعدام المقومات اللازمة لتحقيـق النظافة (مياه دائمة – صابون)، بالإضافة إلي اعتيادهم مخالطة الحيوانات، مما ساهم في كثرة إصابتهم بالأمراض التي تصيب الحيوانات. نذكر منها على سبيل المثال: مرض الدرن الذي تحمله الماعز، ومرض الجرب الذى تحمله المواشى والإبل، والحمى المالطية التي تصيب الحيوانات الأخرى، بالإضافة إلى كثـرة إصابة الأطفال بالنزلات المعوية.

وتأسيساً على الطرح السابق يمكننا أن نخلص إلى القول: أن هناك تفـاعلاً حميماً بين البشارية مع بيئتهم الطبيعية وعناصرها المختلفة من جهة، ونشاطهم الاقتصادى من جهة أخرى، وأن هذا التفاعل قد ساهم فـي إصـابتهم بـبعض الأمراض، وبالتالى ظهور بعض الأعراض المرضية. ومن ثم تحددت أنمـاط المرض التي تنتشر فيما بينهم، والتي أكدت أقوال الإخباريين إصابتهم بها.

وبناء علي ذلك قامت الباحثة بعد حصر هذه الأمراض وتجميعها بـإجراء محاولة لتصنيف هذه الأمراض في ضوء تقسيمات أعضاء الجسـم أو مكـان الألـم أو موضع الإصابة معياراً للتصنيف، فجاء التصنيف على النحو التالى:

١- الأمراض الجلدية: هى الأمراض التي تصيب سطح الجلد مثـل الجـدرى، والحصبة، والقراع، والجرب، والبهاق، والبثور، والجزام.

٢- أمراض الصدر:هى التي تصيب الجهاز التنفسى مثل نزلات البرد، والكحة.

٣- أمراض العيون: هى التى تصيب العين (الحول – إحمرار العين – شـعر العينين).

٤- أمراض وألم البطن والكلى: مثل التسمم – انتفاخ البطن – ديدان البطن – تعقد الرياح – الحمى القلاعية (البثور فى اللسان أو الفم) ـ السخونة – حصر البول – حصوة المثانة – النزيف – التقل (الدوسنتاريا) ـ المغص الكلوى.

٥- الأمراض الوراثية: هى الأمراض التى ليس لعامل البيئة دخل فى حدوثها أو وقوعها، وترجع إلى القيم الثقافية والاجتماعية التى مازال مجتمع البشارية يتمسك بها، مثل الزواج العاصب، الذى يتسبب فى ظهور بعض التشوهات الخلقية مثل الصمم والعمى، وأمراض القلب (ثقب فى القلب)، نقص الوزن، الكساح.

٦- ألم المفاصل والعظام: مثل الآلام الروماتيزمية – ماخ الركبة – وجع الظهر، عرق النسا.

٧- الجروح وكسور العظام والحروق: الجروح بأنواعها، النزيف، الحرق بالنار، كسور العظام.

٨- التسمم: مثل: لدغ العقرب والثعبان والطريشة، لسع النحل، أو التسمم بتناول أطعمة أو أشياء فاسدة.

٩- آلام الأسنان: تسوس الأسنان.

١٠- أمراض خاصة بالنساء: العقم – قطع الدم (الحيض) – المشاهرة – المقيرنة (التى يموت أطفالها بمجرد ولادتهم).

١١- أمراض مرحلة الطفولة: تأخر المشى والكلام – تأخر ظهور الأسنان – البكاء الكثير.

١٢- الأمراض النفسية والعصبية: الصرع، المس.

٢- البيئة البدوية كوعاء للصحة

(أ) تتميز البيئة البدوية بالصحراء الشرقية بأنها مازالت بيئة بكراً: أى لم تصل إليها يد التلوث، وذلك راجع إلى خلوها من مشاريع التنقيب عن البترول والمعادن، والمناجم. وبالتالى يتميز هواؤها بخلوه من كثير من الملوثات مثل: الرصاص، وعوادم السيارات، وتراب المناجم، ودخان المصانع، إلى جانب

تميزها بالكثافة السكانية القليلة.

(ب) طول ساعات سطوع الشمس طوال العام: تتميز البيئة البدوية الصحراوية بطول ساعات سطوع الشمس صيفا وشتاء، والتى قد تصل فى المتوسـط مـن ١٢-١٧ ساعة يوميا، وقد ساهم ذلك فى تعرض أجسام أطفالهم للأشـعة فـوق البنفسجية، مما يساعد على تقوية عظام أطفالهم والشباب البالغين، ولـذا أكـدت المادة الإثنوجرافية قلة الإصابة بلين العظام عند أطفال البشارية.

(ج) تتسم البيئة الطبيعية لبدو البشارية بتوفر العناصر الطبيعية المتعـددة: مـن (طمى – تراب الجبل – رمال – هواء نقى – أشعة شمس طول العام – نخيل)، بالإضافة إلى الأعشاب والنباتات الطبية التى حباهم بها ا - سبحانه وتعالى – فجربوها وتعرفوا على خصائصها الوقائية والعلاجية، ثم قـاموا بجمعهـا مـن أماكن وجودها فى سفوح الجبال والوديان، ثم باعوها إلى التجـار (العطـارين) فأصبحت كنشاط اقتصادى إلى جانب النشاط الرعوى.

ومن أهم الأعشاب والنباتات الطبية التى تتوافر فى بيئة بدو البشارية، على سبيل الحصر: الحرجل – الشيح – الحلفـا بـر – الحنظـل – ورق الأراك – الماشة – شجر المشمس – شجر العشر – الغزال – الطلح – شـجر الملـيح – السنط ـ القرض.

ثالثا: الممارسات العلاجية والعناصر المستخدمة فى الإعداد

تشير بعض نتائج الدراسة الميدانية إلى تعدد العناصر الطبيعية المستمدة من البيئة الصحراوية، التى مكنت بدو البشارية من اختبارهـا والاعتمـاد عليهـا كمصدر من مصادر العلاج الشعبى. حيث عرف بـدو البشـارية بممارسـات علاجية وقائية تعتمد فى إعدادها على أنواع معينة مـن الأعشـاب والنباتـات الطبيعية، وهى كما يلى:

١- وصفات علاجية تعتمد على الأعشاب البرية وأوراق الشجر

تظهر المادة الإثنوجرافية اتساع دائرة خبرة بدو البشارية ببيئتهم وما تحتويه من أعشاب، وخبرتهم فى إمكانية توظيف استخدامها كعلاج، بعـد أن أعيـتهم الحيلة وظروف العزلة النسبية وقسوة الظروف الطبيعية، بالإضافة إلـى خلـو بيئتهم من الخدمات الطبية الرسمية، مما حـتم علـيهم أن يخضـعوا مقومـات

وعناصر البيئة الطبيعية للتجربة، فى ضوء مبدأ "الحاجة أم الاختـراع". ومـن الطبيعى أن محاولاتهم كانت تبوء تارة بالفشل وأخرى بالنجاح، حتى استطاعوا أن يتعرفوا على خصائص أعشابهم ونباتاتهم البرية، ثم جاءت نتائج تجـاربهم ومحاولاتهم تشير إلى استخدام الأعشاب والنباتات البريـة بصـورتها الخـام، وأحيانا أخرى يقومون بتعديلها بالنقع فى الماء أو فى اللبن أو خلطها مع الدهون والشحوم الحيوانية. بل إنهم يستخدمونها تارة فى صورتها الأولية وتارة أخرى وهى سائلة، أو أنهم تعمدوا التغيير فى شكلها بالطحن أو بالغلى أو بالخلط مـع نباتات أخرى، أو مزجها بغيرها من الأعشاب والدهون حتـى تشـكل وصـفة أخرى جديدة تفيد فى العلاج.

ومن الأعشاب والنباتات ذات الشهرة بين بدو البشارية

(أ) الأعشاب البرية: الحاف بر، الشيح، الحرجـل، الطلـح، الأراك، الغـزال. وجميع هذه الأعشاب يعرفها بدو البشارية من جيل الأجداد والآباء علـى أنهـا أعشاب برية تنمو فوق سفوح الجبال وفى الوديان، تعـرف معظمهـا بلونهـا الأخضر فى بداية نموها، ثم يتغير لونها بعد جفافها، فتأخـذ اللـون الأصـفر المتشرب بالخضرة. كما تتفاوت أحجامها وأشكالها، فالبعض يأخذ شكل العيدان والبعض على شكل أوراق منها الصغير والكبير الحجم.

ومعظم هذه الأعشاب يتم جمعه بعد تمام جفافة، وهى تحتـاج لعمليـات صعود إلى سفوح الجبال وهبوط إلى قاع الأودية لجمعها، ولا يقدر على هـذه العملية سوى من تمرس على صعود الجبال، بالإضافة إلى أن هذه الأعشاب فى مجملها تتميز بالرائحة النفاذة والطعم غير المستساغ. ولذا يراعي عند إعـدادها سواء بالغلى أو الطحن (مثل الحاف بر والشيح والحرجل والطلح والغـزال) أن يضاف إليها السكر أو العسل الأسود قبل تناولها. ويؤكد إخباريو البشارية فاعلية هذه الأعشاب فى علاج الكثير من الأمراض التى يتعرضون لها، وهى كما يلى:

- **الحاف بر:** من الأعشاب البرية المشهورة، يتوافر فى البيئـة الصـحراوية لبدو البشارية. اعتاد بدو البشارية شربه منقوعاً أو مغلياً (مثل الشاى) لعـلاج المغص وآلام المعدة ولإدرار البول (حالة احتباسه لدى مرضى الكلى). أما فى حالات نزلات البرد الشديدة فتضاف إليه بعض أوراق شجر الغزال والحرجـل ويغلى الخليط معاً وتحليته بالسكر. وفى حالات الإصابة بنزلات البـرد أيضـاً

يحرصون على استقبال دخان الحاف بر والقرض بعد وضعهما على فحم مشتعل بجوار المريض فى مكان مغلق، بغية تدفئة الجسم حتى يعرق جسم المريض، لأنهم يعتقدون بأن خروج العرق يفتح مسام الجلد ليدخل بخار الحاف بر والقرض اللذان يساعدان على إخراج الرطوبة والبرد من جسم المريض فيشفى. ويقوم البدو أحياناً أخرى بعمل لبخة لعلاج الصداع المستمر أو ارتفاع ضغط الدم، تعمل من الحاف بر والشيح بعد إضافة الملح، وتوضع فوق الرأس لمدة يومين حتى يتم الشفاء.

- **الحرجل:** من النباتات الصحراوية المتوفرة فى بيئة البشارية، اعتادوا استخدامه بعد غليه فى الماء وتحليته بالسكر لعلاج المغص، واستخدامه كغرغرة لعلاج آلام اللوزتين والحلق بدون تحلية.

- **أوراق الأراك:** أوراق صغيرة الحجم كأوراق النعناع، تجمع من على سفوح الجبال وتجفف، اعتاد البشارية استخدامها لعلاج آلام الكلى وانتفاخ البطن. ويكون ذلك بأن تنقع الأوراق فى الماء الدافئ لمدة ٣-٤ ساعات، ثم يقدم كمشروب بدون تحلية. كما يستخدم أيضا فى علاج القروح الجلدية وذلك بعد خلطه بمواد أخرى وهى كما يلى: يحضر دهن الماعز ويتم تسخينه حتى الغليان، ثم تضاف إليه أوراق الأراك المطحون ويمزج حتى يصير سائل غليظ القوام، ثم يصب على القروح وهو ساخن. أما فى حالة ألم الأسنان، فعادة ما يتم غلي أوراق الأراك مع القرنفل وورق النعناع. ويستقبل المريض هذا البخار بغية سحب الرطوبة أو إنزال السوس العالق بالأسنان والمتسبب فى حدوث الألم.

- **الشيح:** من الأعشاب المشهورة لعلاج الزكام وارتفاع درجة الحرارة والكحة، ويتم ذلك بغلى الشيح وشربه بعد تحليته بالسكر، أو حرق أوراقه على قطعة من الفحم المشتعل واستنشاق الدخان المتصاعد منه، وذلك لإيقاف رشح الأنف وسحب الرطوبة، فيستطيع الإنسان بعد ذلك أن يتنفس بسهولة.

كما يستخدم البشاريون الشيح لعلاج البثور التى تظهر على الجسم وخاصة الوجه، بأن يغلى الشيح ثم تغسل به الأماكن المصابة بالبثور لمدة سبعة أيام، وإذا لم تخفى البثور، يلجأ البشاريون إلى عمل عجينة من الثوم المهروس يضاف إليه الملح والزيت وماء الشيح المغلى. تمزج العناصر السابقة وتوضع

على الأماكن المصابة لمدة من ٣-٦ أيام. ويؤكد المعتقد الشعبى على فاعلية هذه العجينة لحفظ الأجزاء المصابة من التعرض للجو المملوء بالتراب والشوائب، وتمنع تكوين الصديد، وبذلك يساعد على زوالها من الجسم، ويعجل بذلك.

- **الدمسيسة:** نبات طبى، عبارة عن أعواد رفيعة تتدلى منها حبوب صغيرة ذات لون رمادى غامق، تستخدم عادة لعلاج المغص الكلوى، حيث يقوم البشاريون بطحنها وغربلتها حتى تصبح كالبودرة، ثم تغلى بالماء. ويشترط أن تقدم ساخنة وبدون تحلية، وأن يتناولها المريض على الريق بعد الاستيقاظ مباشرة، وقبل النوم فى المساء.

- **ورق شجر الغزال والجنباء:** اعتاد البشاريون استخدام أوراق شجر الغزال لعلاج السعال، وذلك بغليه وتحليته بالسكر أو إضافة ورق الجوافة والحرجل إليه ويغلى حتى يصير مزيجاً ويشرب لمدة من ٣-٤ أيام صباحاً على الريق وفى المساء.

- **أما أوراق شجرة الجنباء،** فعادة ما يقوم البشاريون باستخدامه لعلاج مريض الحصبة، بأن يحرق ورق الجنباء على فحم مشتعل ويتعرض المريض لهذا الدخان وتستمر هذه العملية لمدة من ٢-٣ أيام صباحا وبعد صلاة المغرب، بغرض القضاء على الطفح الجلدى الذى يسبب الألم وارتفاع درجة الحرارة.

٢- وصفات وممارسات علاجية مستمدة من النباتات

دلتنا الدراسة الميدانية على استخدامات أسر بدو البشارية والمعالجين الشعبيين للعديد من النباتات بصورتها الطبيعية، أو إدخال بعض التعديلات فى شكلها، أو بإضافة عناصر أخرى إليها، بغية استنباط وصفات وقائية وعلاجية. وهذه النباتات هى: الثوم – الحناء – القرض – النعناع – البصل – الحنظل – المر – الترمس – الحلبة – الشعير – البقدونس – حبة البركة – الكزبرة – الكمون – الزنجبيل – الباذنجان – الجميز.

الثوم: نبات الثوم من أكثر النباتات شهرة بين أسر بدو البشارية من جهة، والمعالجين الشعبيين من جهة أخرى، لكونه نبات مطهر وواقٍ من كثير من الأمراض، إلى جانب أنه يحتل مكاناً كبيراً فى الوصفات العلاجية، سواء على مستوى الوصفات المنزلية التى يقوم بها أفراد أسر البشارية، أو يقوم بها

المطببون الشعبيون. ومن جهة أخرى يتمتع الثوم بمكانة متميـزة فـى نسـق المعتقدات الشعبية لبدو البشارية، لما يتمتع به من خاصـيته الدائمـة النفـاذة، وقدرتها على طرد الأرواح، والحماية من العين الحاسـدة، وإبطـال الأعمـال السحرية، إلى جانب طرد الحشرات الضارة مـن المنـازل، مثـل الثعـابين والعقارب. ويتأكد ذلك فى أقوال معظم الإخباريين، التى تؤكد قدرتـه الوقائيـة والعلاجية: "البيت اللى فيه توم لا يسكن فيه الجن ولا شيطان"، "التوم ده قـادر على تطهير المصارين والبطن من أى عفن أو ألم، لأنه هو علاج لكل ألم".

وتجسد ذلك فى تعدد الوصفات العلاجية المستمدة منه لعلاج العديـد مـن الأمراض، فمثلا يعد الثوم مصدراً لعلاج معظـم الأمـراض والآلام الخاصـة بالبطن مثل: ديدان البطن، تعقد الرياح فى البطن، انتفاخ البطن، ديـدان الأذن، بثور الوجه، الحمى القلاعية (القرحة فى اللسان والحلق والفم للأطفـال). وقـد توصلت خلاصة تجاربهم إلى استخدامه تارة بصورته الطبيعية أى خام، وذلـك فى حالات انتفاخ البطن وكثرة الغازات بها، حيث يقوم البالغون فـى الأسـرة البدوية بتقديم فصوص الثوم – بعد تقشيرها – للمريض ليقوم بابتلاعهـا علـى الريق لمدة تبدأ من يوم واحد إلى ثلاثة أيام، ثم بعد ذلـك تـزول الأعـراض المرضية ويتم الشفاء بخروج الغازات وانخفاض حجم البطن، ثم يبدأ المـريض بأداء عملية الإخراج بصورة طبيعية.

أما فى حالة الإصابة بالحمى القلاعية (البثور التى تنتشر بـالفم واللسـان) فيستخدم الثوم بعد تعديل صورته الأولية، بإضافة كمية من الملح والزيت (زيت بذرة الكتان)، ثم تطحن فصوص الثوم المقشرة ويمزج الجميـع حتـى يصـير عجينة، تفرد فوق المكان المصاب بالبثور، ثم تكرر هذه العملية ٣ مرات حتـى تختفى البثور.

وفى حالة الإصابة بديدان البطن، يقوم المطبب بعصـر فصـوص الثـوم ليتناوله المريض على الريق لمدة ثلاثة أيام، بعدها يلاحـظ المـريض نـزول الديدان مع البراز، ويزول الألم بنزول الديدان. أما فى حالة عدم استجابة الديدان لهذه الوصفة العلاجية، فإن المطبب يلجأ إلى عمل وصفة أخرى، وهى عبـارة عن: طحن فصوص الثوم ومزجها بالعسل الأسود حتى يصير المزيج كالعجينة اللينة القوام، يأكل منها المريض كل يوم على الريق لمدة ثلاثة أيام، بعدها يبـدأ

نزول الديدان من البطن، ويشفى المريض من الألم.

كذلك يستخدم الثوم أيضا لعلاج ثقل السمع (الطرش)، ويعتقد البشاريـون أن السبب فى عدم القدرة على السمع ترجع فى الأصل إلـى وجـود ديـدان بالأذن. وتؤكد أقوال كل من الإخباريين والمطببين الشعبيين: "الديدان دى تمنـع الزول منا لا يسمع كلام الناس، ويفضل كده حتى يطلع الدود من الودن ويخف الزول". ومن الوصفات العلاجية الشائع استخدامها لعلاج ثقل السـمع: إعـداد عجينة من فصوص الثوم وزريعة البصل (قلب البصلة)، يضاف إليهـا دهـن الماعز وهو فى حالة سائلة وساخنة. تمزج هذه العناصر حتى تصير عجينـة، توضع على فحم مشتعل، ثم تقرب أذن المريض من الدخان المتصـاعد حتـى يدخل داخل الأذن. وتستمر حتى تنتهى العجينة وتحرق بأكملها، بعـدها يشـعر المريض بزوال الألم.

أما إذا استمر الألم بعد الوصفة الأولى، يلجأ المطبب إلـى عمـل وصـفة أكثـر حبكة بغية إخراج الديدان من الأذن، وبذلك يزول السـبب فـى الألـم. ويصف الطبيب الشعبى قائلا: "نقشر فصوص الثوم ثم نضعها فى إناء، وتوضع على نار هادئة بعد إضافة قليل من الماء، حتى ينضج، ثم يقوم المطبب بهـرس الفصوص بالضغط عليها حتى تفرز سائلاً أصفر اللون، عادة ما يطلـق عليـه زيت الثوم. يجمع هذا الزيت ويوضع فى إناء يقطر منـه فـى أذن المـريض، ويقوم المطبب بعد مضى خمس عشرة دقيقة من عملية التقطير بوضع إناء بـه ماء بجوار أذن المريض كى يستقبل ما ينزل من دود ميت من أذن المـريض. وبذلك يشفى بزوال الألم ونزول الدود، ثم تعود إليه قدرته على السمع.

الحناء: نبات ينمو فى القرى التابعـة لمدينـة أسـوان: غـرب أسـوان، أبوالريش، وعادة ما يتحصل عليه بدو البشارية من سوق الخميس الذى يعقـد بمدينة أسوان أسبوعياً. وقد درجت أسر بدو البشارية على استخدام نبات الحناء فى أغراض عديدة منها ما هو كوصفة وقائية أو علاجية أو جمالية.

ومن الوصفات العلاجية استخدامها فى علاج الحـروق بأنواعهـا (لسـعة النـار أو الماء الساخن)، بأن تعجن الحناء بعد طحنها وغربلتها حتى تصـبح ناعمة كالبودرة، ثم تعجن بمنقوع القرض، ويضاف إليها بياض البيض. وتمزج جميع هذه العناصر حتى تصير عجينة لينة، توضع على الأمـاكن المحروقـة

فـور حدوث الحرق لكى تلطف من الألم، ومن جهة أخرى تعمل طبقة عازلة تمنع تعرض السطح المصاب بالحرق للهواء والأتربة. كما تمنع تكـوين مـاء تحت الجلد، وبهذه الوصفة يعجل بجفاف الحرق وسرعة الشفاء.

أما فى حالة الإصابة بالصداع نتيجة لضربة الشمس فى فصل الصيف، فقد اعتادت أسر بدو البشارية إعداد وصفة علاجية سريعة، تتكـون مـن الحنـاء مضاف إليها منقوع القرض، وتعجن حتى تصير لينة ثم تفـرد علـى الـرأس بغيـة سحب حرارة الشمس وألم الصداع. كما تستخدم نفس العجينـة السـابقة كمادة مساعدة لتضميد الجروح، مثل الجرح الذى يفتح أثناء عملية التفصيد التى يقوم بها المطبب الشعبى لعلاج مرض الفيل (سوف نتحدث عن ذلك بالتفصـيل فى موضوع العمليات وأدوات الطب الشعبى).

أما الوظيفة الثانية لنبات الحناء فهى استخدامها كوصفة وقائية قبل حـدوث المرض، فتشير المادة الإثنوجرافية إلى اعتياد النساء البدويات الاسـتفادة مـن نبات الحناء للوقاية من المشاهرة، سواء التى تحدث للعرسان حديثى الزواج، أو تلك التى تحدث للسيدة الواضعة. وذلك بأن تجهز هذه الوصفة الوقائيـة قبـل وقوع الحدث (الفرح – الولادة)، بإحضار نبات الحنة والقرض الجاف وبـذور البصل وغلة (قمح أو فول)، والكسبرة. تمزج هذه الأصناف وهى جافـة، ثـم توضع فى إناء للتنجيم (أى توضع تحت السماء مباشرة "تحت النجم" ولتشـاهد ظهور هلال الشهر العربى)، وتعرف هو الوصفة "بالبسلة". توضع البسلة بعـد تنجيمها فى مسكن العروسين قبل ليلة الزفاف، وخلف السيدة حديثة الولادة وقبل الوضع. ويفسر المعتقد الشعبى أن هذه الوصفة الوقائية كفيلة أن تمنع حـدوث المشاهرة بأن تمنع دخول الشياطين إلى منزل العروسين، وتقـى مـن العـين الشريرة، وتبطل أى "عمل" الغرض منه الإضرار بالعروسين.

أما كوصفة جمالية، فقد درجت أسر البشارية على استخدام الحناء لما يتميز به نباتها من خاصية التلوين لصبغ الشعر الأشيب للرجال والنسـاء، ولعـلاج قشرة الشعر، وعلاج الشعر القصير والضعيف، بغية تغذيته ليطول، وذلك بعد إضافة الزيت والحنظل الأخضر (السائل الأبيض الذى فى ثمرة الحنظل)، ثـم تدلك به فروة الرأس ويغطى بها الشعر كله. أما استخدامها كصبغة للشعر، بأن تعجن بمنقوع الكركديه أو منقوع القرض، أو ماء البصل، وتترك لتخمر، ثـم

تفرد على الرأس لمدة يوم واحد ثم يغسل الخليط ويزال بعد ذلك.

كما تستخدم لتاوين (تخضيب) أيدى وأرجل العروس قبل ليلة الحناء بغيـة التجميل والوقاية من المشاهرة، بل وتستخدم لصبغ جسم الميـت قبـل تغسـيله للمحافظة على لون البشرة حمراء بدلا من الصفراء، وجعل الجسم أكثر ليونـة. ويفسر المعتقد الشعبى هذه الممارسة أو الوصفة بما أكدته أقوال الإخباريين (لأن الزول يبعث بعد موته على الصورة إللى كان عليها هو حى وإحنا نحب يكـون بصورة حلوة وجميلة).

نبات الحنظل: يعرف بالمر، وهو من نباتات البيئة الصحراوية، وعادة مـا تأخذ الثمرة شكل الليمونة الكبيرة ذات اللون الأخضر وهى طازجـة، واللـون الأصفر عندما تجف. وهذا النبات معـروف لـدى الأسـرة البشـارية باسـم (القطران)، فقد درج استخدامه لعلاج العديد من الأمراض والأعراض، وعلـى رأسها الأمراض المعدية: مثل الجرب، الذى عادة ما يصاب به الإنسان نتيجـة لكثرة اختلاطه "وملامسته" للمواشى والجمال، وذلك بحكم النشـاط الاقتصـادى الرعوى.

وعادة ما يتم إعداد الوصفة العلاجية اللازمة للتصدى لهذه المرض المعدى باستخدام نبات الحنظل فى صورته الطازجة، وذلك بوضعه فى إناء ثـم يرفـع على نار هادئة حتى ينضج ويخرج ما به من زيت، ويطلق على هـذا الزيـت (القطران). يجمع الزيت فى إناء آخر بواسطة المطببين الشعبيين لعلاج الأجسام المصابة بالجرب، بدهان الجسم لمدة ٤٠ يوما متتالية. كما يستعان أيضا بزيـت الحنظل لعلاج الجذام حيث يستمر دهان الجسم المصاب قرابة ٩٠ يوما (ثلاثـة أشهر). فى نفس الوقت يمنع المطبب الشعبى الشخص المصاب من أكل البيض والموز والمانجو حتى يتم الشفاء من هذا المرض المعدى.

أما فى حالة الإصابة بالناسور، فعادة ما يتم إضافة بـذور التـرمس بعـد طحنها وغربلتها وتمزج حتى يصير غليظ القوام (مثل المرهم)، ويدهن به مكان الألم.

أما فى حالة علاج النقرس –ألم الكعبين– درج البشـارية علـى اسـتخدام ثمـرة الحنظل بصورتها الطبيعية أى الأولية (لونها الأخضر)، وذلك بفتح ثمرة الحنظل حتى يسيل منها السائل الأبيض اللزج فيوضع على الكعبين، ذلـك لأن

الحنظل له قدرة على امتصاص الألم. وتكرر هذه الوصفة من ثلاث إلى أربـع مرات حتى يزول الألم.

أما فى حالة الإصابة بمرض الجدرى، فيستخرج السـائل اللـزج لثمـرة الحنظل ثم يضاف إليه العسل الأسود – الحنطة – النشاء – ملح مذاب فى الماء، وتمزج هذه العناصر حتى تصير كالمرهم، ثم يقوم المعـالج الشـعبى بـدهان الأجزاء المصابة. وتكرر هذه العملية، ويتم ذلك من بداية ظهور الطفـح لمـدة خمسة عشر يوما بعدها يزول الطفح الجلدى من الجسم.

الجميز: من النباتات الصحراوية، يميل لونه إلى اللون البنى الغامق، صغير الحجم، يشبه التين البرشومي، درج على استخدامه فى حالته الجافة بعد الطحن، ثم غليه وتحليته بالسكر لعلاج الكحة، كما يستخدم وهـو طـازج باسـتخراج عصارته لدهن الجسم لإزالة آثار الوشم ولعلاج مرض البهاق.

الحلبة الحصى: تستخدم حبوب نبات الحلبة بعد تجفيفها وطحنهـا لعـلاج التهابات العين، وذلك بعجن مسحوق الحلبة بالماء لعمل عجينة توضـع حـول العين المصابة بسبب الأتربة.

٣- الروائح والمشروبات العلاجية المجهزة من النباتات

درج أجداد البشاريين على شغفهم للتجربة، وذلك للتعرف على خصائص ما تجود به بيئتهم من جهة، وما في متناول أيديهم من نباتـات غذائيـة يتناولهـا الإنسان أو الحيوان. ومن تجاربهم من جهة أخرى محاولة غلى بعض النباتـات مثل: الشعير، المقدونس، العقول، نبات الغزال، ورق المشمش، الحلبة الحصـي وتحليته بالسكر أو بالعسل، وتناوله كشراب أو تناوله بدون تحلية. وقـد أثبتـت المحاولة والخطأ جدوي هذه المشروبات لعلاج بعـض الأعـراض المرضـية المؤلمة مثل: مشروب الشعير المغلي والمحلـي بالسـكر، وكـذلك مشـروب المقدونس كوصفه علاجية لفك حصر البول.

أما لتفتيت حصوة المثانة فقـد درج المطببـون الشـعبيون علـى إعـداد مشـروب قوامه لبن الجمال مضافاً إليه منقوع العقول (من النبات الصـحراوية التي تتغذى عليها الجمال والغنم)، وبعد غليهما يتناوله مريض الكلى بدون تحلية على الريق وفى المساء لمدة ثلاثة أيام.

ولعلاج الربو: يغلى كل من حبة البركة وأوراق شجر الغزال والمر، ويحلي بالسكر، ويتم تناوله لمدة أربعين يوماً متتالية.

وفي حالة الإصابة بالدوخة المستمرة، فقد درجت أسر البشاريه على إعداد وصفه علاجية مكونة من مجموعة من النباتات هي: حبوب الكسبرة الجافة يضاف إليها حبة البركة والكمون، وتحمص هذه الحبوب وتوضع في قطعة قماش ثم تعلق في رقبة المريض بالدوخة لكي تكون قريبة من أنفه، ويداوم على شم رائحتها. حيث يفسر المعتقد الشعبي البدوي جدوى هذه الممارسة كعلاج لأعراض الدوخة، نظراً لما تتمتع به هذه النباتات من زيوت طيارة ذات رائحة نفاذة تنشط المراكز الحسية بالمخ.

أما لعلاج الأرق: يقدم شراب الحنظل الجاف سواء بالغلي أو بالنقع، ثم يحلى بالسكر، كما يقدم مشروب الحلبة بعد تجفيفها وغليها وتحليتها بالعسل كنوع من المقويات للسيدات حديثي الولادة بغية تقويتها وتعويضها ما فقدته من دم أثناء الولادة، وفي نفس الوقت يعتبر شراب الحلبة من المدرات للبن. ومن الوصفات العلاجية الشائعة استخدام الحلبة الجافة بعد طحنها وعمل عجينة بالماء وهى تستخدم لعلاج أمراض العيون: الالتهابات، كثرة الافرازات بسبب الإصابة بالرمد. توضع عجينة الحلبة حول العين المصابة، وتكرر مرة أو مرتين حسب الحالة حتى تخرج الخيوط البيضاء من العين فهذا علامة على كمال شفائها، بالإضافة إلى استخدام لبن الأم كقطرة تعمل على تلطيف التهاب العين.

٤- وصفات علاجية تعتمد في تجهيزها على الدهون والزيوت الحيوانية والنباتية

في ضوء الظروف البيئية الطبيعية التي فرضت على بدو البشارية الإقامة أو السكني بالصحراء الشرقية، جاءت محاولة بدو البشارية للتكيف مع خصائص البيئة الطبيعية الصحراوية من جهة، وإشباع احتياجاتهم الأساسية لمواجهة المرض والألم الذي يتعرضون إليه، ومحاولة العلاج من جهة أخرى. فتمكنوا عن طريق المحاولة والخطأ ومبدأ الحاجة أم الاختراع من الاستفادة من دهون وأصواف الحيوانات التي يربونها لإعداد الوصفات العلاجية.

لقد كشفت نتائج الدراسة الميدانية عن مدي أهمية الحيوانات التي تعيش في

البيئة الصحراوية، من إبل وأغنام وماشية، بوصفها مصدراً للحصول على الشحوم والدهون والأصواف التي استعانوا بها لإعداد وصفات وقائية وعلاجية، ولقد تأكد ذلك في أقوال المعالجين الشعبيين لبدو البشارية، بأنهم يقومون بتجميع الدهون والشحوم بعد ذبح الحيوانات مباشرة بعد تخليصها من الشوائب، ثم تجهيزها كمادة أو وصفة علاجية، وذلك برفع نصف كمية الشحوم على نار هادئة حتى تسيل الدهون دون أن يتغير لونها (أي لا تحترق). أما الجزء الثاني فيترك بصورته الأولية أو الخام حتى يمكن تشكيله كعجينة.

ومن الوصفات العلاجية المشهورة استخدام الدهون لتطهير وعلاج الجروح وذلك بأن يقوم المطبب الشعبي بغسل الجرح بالماء الدافئ والملح ومنقوع نبات القرض، لإزالة ما بالجرح من أوساخ، ولوقف نزيف الدم، ثم تحضر الدهون في صورتها الأولية، حيث يتم تدفئتها على نار هادئة حتى يتمكن من عجنها ثم تفرد حول الجرح ويقوم المطبب بإحضار جزء آخر من الدهن الذي سبق تسييحه، ويضعه على النار حتى يغلي. ثم يقوم بصب الدهن على الجرح، وتكرر هذه الممارسة حتى يدبل الجرح ويجف.

كذلك قادتهم التجربة إلى خلط الدهون الحيوانية مع غيرها من عناصر البيئة لعمل وصفات أخرى لعلاج أمراض مثل: الحميات وآلام الأذن. ففي علاج السخونة يقوم المعالج بتسخين الدهن (دهن الأغنام) حتى يسيل ويصبح قوامه كالزيت، يضاف إليه كمية من الملح، ويطلب من أهل المريض دهان جسمه حتى تنخفض درجة حرارته. أما في حالة ألم الأذن وهو من أكثر الأمراض شيوعاً بين أطفال البدو اعتاد المطببون الشعبيون تجهيز وصفة العجينة وهي عبارة عن شحم الأغنام يضاف إليه زريعة البصل بعد هرسه، ثم يعجن في إناء، ويرفع المزيج على نار هادئة حتى يتصاعد منه البخار، ثم تقرب أذن المريض من هذا البخار المتصاعد من العجينة. وبعد ثلاث دقائق من دخول البخار أذن الطفل يقوم المعالج الشعبي باستقبال الدود النازل من الأذن الداخلية في إناء به ماء، وذلك لاعتقادهم بأن الدود هو السبب وراء هذا الألم، وبخروجه يتوقف الألم ويشفي.

أما عن الزيوت النباتية فيمثل كل من زيت الكمون وزيت جوزة الطيب بعض أشهر الزيوت استخداماً كوصفات علاجية. وهذه الزيوت تشتري من

العطار ويشيع استخدامها كوصفة وقائية للطفل حديث الولادة، بأن يـدهن بهـا جسمه بمجرد ولادته بزيت الكمون أو بزيت جوزة الطيب، كنوع من المقاومـة التى تحميه من برودة الجو في الشتاء وتلطف الجسم من حرارة فصل الصيف، إلى جانب أن هذا الدهان يحافظ على جسم الطفل دائماً في حالة لينة (طريـة). كما يستخدم زيت الطعام (زيت بذرة الكتان) في تدليك الجزء المرضوض مـن الجسم المجبر ثم يقوم المجبر بشد العضو المصاب (بعد تدليكـه) حتـى يـتم إرجاعه إلى وضعه الطبيعي.

٥- وصفات علاجية مستمدة من عناصر الحيوانات أو طيور البيئة

تشير المادة الإثنوجرافية إلى أن بيئة بدو البشارية مازالـت تعـد مكانـاً طبيعياً بكراً، من حيث تنوع الكائنات الحية التي تعيش فيها، والتي اسـتخدموها كمصادر إعداد بعض الممارسات الوقائية والعلاجية. ومن هـذه الحيوانـات: الأرانب الجبلية، النعام، الحمير، طائر البلسان، والإبل، والأغنـام، والماشـية، كذلك القنفد، وقرن الخرتيت.

ولقد أشارت نتائج الدراسة الميدانية، إلى أن هناك علاقـة ارتبـاط بـين استخدام بعض عناصر أجسام الحيوانات وطيور البيئة، وبين انتشار العديد من الممارسات والوصفات الوقائية والعلاجية التي ترجع إلى ما لدى بدو البشـارية من معلومات، واتساقهم المعرفي حول الخصائص العلاجيـة والوقائيـة لهـذه العناصر الحية، التي قادتهم إليها الحاجة إلى التداوي لمواجهة الأمراض والآلام وإلى استغلال ما هو متاح تحت أيديهم:

زيت طائر البلسان: يجمع إخباريو بدو البشارية على أن طائر البلسان من الطيور المهاجرة التي تأتي إلى بيئتهم في فصل الشتاء. وهم يحرصـون علـى اصطياده، خاصة المعالجون الشعبيون منهم، حيث يقومون بذبحـه والحصـول على دهنه الذى يتم تسييحه وتعبئته في أوان. ويفضل استخدامه فى شكله الخام بدون إضافة أي عناصر أخرى إليه. ويعرف عن هذا الزيت استخدامه لعلاج ألم الظهر والعظام والآلام الروماتيزمية.

قرن الخرتيـت: الخرتيت من الحيوانات الجبلية، له أهمية خاصة لـدي بدو البشارية من حيث كونه مصدراً أساسياً لعلاج المريض شـارب السـم، أو الذي تناول طعاماً فاسداً. يأخذ شكل قرن الخرتيت اللون البني على شكل هلال

مجوف، وعادة ما يحتفظ به شيخ القبيلة، ويتم استعارته في حالات التسمم، ثـم يرد إليه ثانية.

وتكون وصفة علاج التسمم، بنقع اللبن لفترة مـن ٣: ٤ سـاعات داخـل القرن، أو غلي اللبن ثم صبه داخل القرن، بعدها يشرب منه المسموم. وبعـد ١٠ دقائق يبدأ المريض في التقيؤ لكي يخرج السم، أو يحدث له إسهال لتفريـغ البطن مما بها من سموم. وتتكرر هذه العملية حتى تتطهـر الـبطن ويتماثـل المريض للشفاء.

كما تحرص نساء البشارية على أن يتناول الأطفال اللبن المنقوع في قرن الخرتيت للوقاية أو التطعيم ضد أي سموم قد يتعرض لها الطفل بسبب أكل أي طعام غير صحى أو تناول شراب غير سليم.

بيض النـعام: يحرص المعالجون الشعبيون في مجتمع بـدو البشـارية على الخروج إلى الخلاء لجمع بيض النعام ثم تركه ليجف ويطحن ويغربل ثـم يعبأ (بودرة) في أوان ليكون جاهزاً للاستخدام في الوصفات العلاجيـة. ومـن الأمراض التي اشتهر بيض النعام بعلاجها أمـراض العيـون، سـواء كانـت احمرار العين، أو الرمد، أو علاج الغشاوة، ولتقوية البصـر وجـلاءه. يقـوم المعالجون الشعبيون بتجهيزه في صورة بودرة أو قطرة بنقع بودرة بيض النعام في ماء العطرون (وهو حجر جبلي يجمع من فوق سفوح الجبال) حتى يصـبح السائل منسجم القوام. وتكحل العين المصابة من هذا المحلول بواسـطة ريشـة دجاجة. وتكرر هذه الممارسة حتى تشفي العين المصابة، أو تستخدم كبـودرة ترش حول العين وداخلها (مثل بودرة السلفا).

دم الحمار والأرنب: كشفت الدراسة الميدانية عن استخدام بدو البشارية لدم الحمار أو دم الأرنب للأغراض العلاجية، مثـل عـلاج الأمـراض الجلديـة، وبالتحديد ما يعرف بمرض البهاق، وذلك بتجميع الدم بعد الذبح مباشرة بـأن يكون الدم ساخناً (طازجاً) ثم يدهن به الجسم أو الجزء المصـاب مـن جسـم المريض. وتكرر هذه العملية حتى تزول آثار البهاق من على الجلد.

دم الأضحية: اعتاد البدو الاحتفاظ بدم الأضاحي لمدة عام، لاعتقادهم فـي جدوى الدم لعلاج حالات العقم. ولذلك يحرص المعالج الشعبي بأن تخطو المرأة العاقر فوق دم الأضحية سبع مرات، ليحدث الحمل، وهناك حالات عديدة – على

حد قول بعض الإخباريين – تم علاجها بهذه الصورة وتحقق المراد.

دم القنفد: حيوان جبلي يشبه الفأر، لونه رمادي غـامق، جسـمه مملـوء بشعر يشبه الشوك، يأكل النمل. تستخدم عناصر جسمه (الشعر والـدم) لعمـل وصفات علاجية لعلاج الطرش، فيؤخذ دم القنفد بعد ذبحه ويقطر بـه فـي أذن المريض، يكرر ذلك من ٣-٤ مرات، أو أن تعرض أذن المريض إلى الـدخان المتصاعد من حرق شعر القنفد، وتكرر هذه الممارسة مرة أو مـرتين، بعـدها يشفي المريض وتعود له القدرة على السمع.

روث ولبن الإبـل: تؤكد أقوال الإخباريين على أهمية الجمل في حيـاتهم، أولاً كوسيلة للنقل والانتقال، إلى جانب أن بعض عناصره مثل اللبن والـروث يمثلان مصدراً من مصادر تجهيز وصفات علاجية.

روث الجمال: يضاف إليه تراب الجبل وينقعا معاً في مـاء وملـح حتـى تصير عجينه لينة لعلاج مرض القراع. يقوم المطبب الشعبي بفرد هذه العجينة الرأس المصابة لمدة سبعة أيام حتى يتم الشفاء.

أما عن لبن الجمال (النوق): فيستخدم لعلاج أمراض الكلي وعلى وجهـه التحديد لإنزال الحصوة من المثانة، بعد إضافة منقوع العقول إليه. أمـا لعـلاج الأنيميا فيضاف إلى اللبن العسل الأسود يتناوله المريض لمـدة أربعـين يومـاً متتالية حتى تزول أعراض الأنيميا واستعادة النشاط والقـدرة علـى الحركـة والعمل. ولعلاج التقل (التعنية) فيشرب المريض لبن الناقة حامضاً أو مراً.

٦- عناصر علاجية مستمدة من البيئة الطبيعية

تشير الشواهد الميدانيه إلى تعدد عناصر البيئة الطبيعيـة المسـتمدة مـن البيئـة الصحراوية عامة وبيئة بدو البشارية خاصة والتـي اسـتطاع البـدو الاعتماد عليها ووظفوها بوصفها مصدراً من مصادر العلاج الشعبي. ونـذكر منها على سبيل المثال: الرماد، ماء الندي، طمي المطر، تراب الجبل، الحجـر الجبلي. وتؤكد المادة الإثنوجرافية على المكانة المتميزة التي تحتلها العناصـر الطبيعية في كل من نسق الطب الشعبي ونسق المعتقدات الشعبية البدوية وهـي كما يلي:

ماء المطر وتراب الجبل: (الطمي)

بالرغم من أن مجتمع الدراسة يدخل ضمن البيئـة الصـحراوية، إلا أنـه يتعرض في فصل الشتاء لموجات ممطرة، مما يجعل هناك علاقة تلازمية بـين حلول فصل الشتاء وبين انتظار بدو البشارية للمطـر، وبخاصـة المعـالجين الشعبيين، وذلك لتجميع مياه الأمطار لكى يستخدمها البشارية لإشباع حاجـاتهم الأساسية، من طهي ونظافة وسقاية للحيوانـات. بينمـا تـدخل الاسـتخدامات العلاجية لهذه المياه، اعتقادهم القوي في قدرة مياه الأمطار لشفاء كل الأمراض. ويؤكد ذلك أقوال المعالجين "مية المطرة فيها شفاء لكل الأمـراض زي عسـل النحل". أما على المستوي الآخر حين يمتزج ماء المطر بالتراب مكوناً طميـاً، تحرص معظم النساء البدويات - خصوصاً في شهور حملها الأخيرة (السابع – الثامن – التاسع) – على تجميع الطمي ثم ابتلاعه لاعتقادهن بأنه يسهل عمليـة الولادة. كذلك يستخدم كوصفة علاجية لعلاج لسعة النحل، بفرد الطمـي علـى مكان اللسع، وتكرار ذلك حتى يتم الشفاء. إلى جانب استخدام الطمي كوصـفة لعلاج الجروح العميقة مثل التربنة، بعد أن يضاف إليه اللبن حتى يصبح عجينه لينة، تفرد هذه العجينة على الجرح عدة مرات حتى يلتئم.

ماء الندى

هي قطرات الماء التي تتكون على النباتات في الساعات الأولي من الصباح. وقد اعتاد بدو البشارية استخدامه كوصفه علاجية لعـلاج الخضـة (الخلعـة) ولعلاج الطفل المحسود. وعادة ما يتم تجميع المياه بواسطة المعالج وذلك بوضع إناء في مكان مفتوح (تحت السماء) لتجميع مياه الندي على مدى عدة أيام بشرط أن يكون عدد الأيام فردياً، أي يوم أو ثلاثة أو خمسة أو سبعة أيـام، إلـى أن تتجمع كمية مناسبة في إناء. بعد ذلك يقوم المطبب الشعبي بسكب هـذه الميـاه على المحسود سواء كان طفلاً أو شابا، أو بالغاً، ويكرر ذلك حتى يتم الشفاء.

حمام الرمل

حمام الرمل مـن أكثـر العناصـر الطبيعيـة المميـزة للبيئـة البدويـة الصحراويـة، لذا نجد أن نظام السكنى الريفية عند بدو البشارية قد راعـى أن يكون هناك مساحة لعمل حمامات الرمل للمصـابين داخـل المنـزل الريفـى. ويستخدم الرمل كحمام لعلاج الآلام الروماتيزمية وآلام المفاصل والظهر، وذلك

بعمل حفرة فى وسط الدار بعمق ٧سم يوضع بهـا المـريض(*) ويراعـي أن يكـون ذلك في وقت الظهيرة (فصل الشتاء) حيث تكون الرمال دافئة ويسـتمر الدفن من ١-٢ ساعة. بعدها يخرج المريض من الحفرة ويلف جسمه بلحـاف ويقدم له سوائل ساخنة، ويكرر هذا الحمام مرة أو مرتين في الأسـبوع حتـى يزول الألم ويشفي المريض.

الحجر الجبلى: متوفر فى جبال الصحراء الشرقية، يستخدمه المطببون الشعبيون لعلاج العقم عند النساء، وذلك بصحن الحجر، ثم يوضع فى قطعة قماش وتقوم المرأة بلبسه بغية امتصاص الرطوبة من الرحم، وهى فى اعتقادهم السبب فـى حدوث العقم.

٧- الوصفات العلاجية القائمة على استخدام العناصر الغذائية بالمنزل

تكشف الدراسة الميدانية عن استخدام العديد من العناصر المنزلية كوصفات علاجية ووقائية. ومن هذه العناصر: السكر والملح، ماء البصل، اللبن، البيض.

السكر: يعدون عنصر السكر من العناصر الأساسية لعلاج الزكام، ذلـك بـأن تحرق كمية من السكر على النار، ويجبر المـريض علـى استنشـاق الـدخان المتصاعد منه. يكرر ذلك عدة مرات حتى يتوقف الرشح ويسـتطيع المـريض معاودة استنشاق الهواء الطبيعى مرة ثانية، ويستطيع بذلك أن يميـز الـروائح الأخرى. وفى حالة عدم توفر السكر، يستعاض عنه بحرق قطعة من القمـاش، ويطلب من المريض شم رائحتها وتعرف (بالشياط). ويؤكد المعتقد الشعبى وراء هذه الممارسة على قوة الدخان المتصاعد من المادة المحروقة (سكر أو قماش)، فى تخفيف الرشح إلى جانب إزالة أى عوائق أخرى تحول دون دخول الهـواء الطبيعى إلى داخل أنف المريض، فيشعر بضيق فى التـنفس، فيضـطر إلـى التنفـس من الفم بدلا من الأنف.

ب- الملح: تتعدد صور استخدامات الملح كوصفة وقائية وعلاجيـة. فـالجميع يستخدمونه كمادة مطهرة للجروح، بغسل الجرح بمـاء وملـح، أو اسـتخدامه

(*) هناك نوعان من حمام الرمل: الأول: حمام الرمل الرأسى، وهو عبارة عن حفرة عمقها حوالى ١,٥ متر لدفن جسم المريض واقفا عدا الرأس التى يغطيها بشال من القماش أو عمامة لتخفيف ضربة الشمس. والثانى: حمام الرمل الأفقى وهو عبارة عن حفرة أفقية عمقهـا ٠,٥ متر يدفن المريض جسمه بها مستلقيا على ظهره عدا الرأس، ويظل المريض ساعة ونصف مدفونا فى الرمل حتى يتصبب عرقا ويتخلص من الرطوبة.

كوصفة علاجية لعلاج الحروق، ذلك بأن يدلك الجزء المحروق بالملح لإخـراج الماء منه حتى يسرع من تجفيف الجرح والتئامه. بالإضـافة إلـى اسـتخدامه كمـادة مطهرة للبطن، بأن يشرب المريض الماء المذاب فيه الملح، حتى يتقيـأ المريض ويخرج ما فى بطنه من أطعمة أو سموم. هذا بالإضافة إلى استخدامه كغرغرة لعلاج التهاب الحلق والزور.

ج- الكيروسين (الجاز): لا يعرف مجتمع بدو البشارية المواد المطهـرة مثـل الميكروكروم وصبغة اليود، لكن الكيروسين يمثل مادة إذ بديلة يستخدم كمطهر خارجى فى حالة الجروح البسيطة والمتقيحة.

د- البيض: من العناصر الغذائية المنزلية، إلا أن الدراسة الميدانية كشفت عـن استخدامات أخرى للبيض. هذا فضلاً عن أنه يمثل وجبة غذائيـة (مسـلوقاً أو مطهياً) للبالغين والأطفال. وهو يمثل عنصراً من عناصر العلاج الشعبى، فقـد اعتاد بدو البشارية استخدام البيض لعلاج العديد مـن الإصـابات، كـالحروق مثـلاً. ويكون ذلك بإضافة زيت بذرة الكتان إلى البيض ومزجه جيـداً حتـى يصير كالمرهم، ثم تدهن به المنطقة المحروقة لكى يهـدأ الالتهـاب، ويمنـع تكويـن الماء تحت الجلد. كما يستخدم من جهة أخرى كمقو عام لعلاج الضعف العام وهزال الجسم الذى قد يصيب البالغين والأطفال بعد فترة مرض طويلـة، عندئذ يضاف البيض إلى اللبن ثم يحلى بالسكر ويضرب جيـداً حتـى يصـير مزيجاً متوسط القوام، يقدم للمريض صباحاً ومساء لمدة ثلاثة أيام.

أما فى حالة إصابات الكسور أو الرضوض أو المـزق، فـى عـادة مـا يستخـدم البيض لعمل اللبخة، التى تتكون من البامية الجافة بعد طحنها وعجنها ببياض البيض، ثم تفرد على العضو المصاب حتى تمتص الورم والألم وتساعد على التئام الكسر.

هـ- اللبن: من العناصر الغذائية المتوفرة لدى بدو البشـارية، وهـو متعـدد المصادر، فهناك لبن النوق (الجمال) ولبن الماشية والماعز. ويمثل اللبن وجبـة غذائية رئيسية(*) تتواجد مع جميع الوجبات الثلاث، إلى جانب أنه يمثل واحـدا من المشروبات الهامة لدى البدو، وهو: الحامض أو المـر، والرايـب (مثـل الزبادى)، وذلك لخاصيته المتميزة التى تسهم فى تخفيض حرارة الجسم فى أيام

(*) هناك الفطير باللبن، والخبز باللبن، والتمر باللبن.

الصيف. والجدير بالذكر أن الدراسة الميدانية كشفت عن خاصية أخـرى للـبن باعتباره مكونا أو عنصراً مهماً يدخل فى معظم الممارسات العلاجية. فجميـع أقوال الإخباريين والمطببين الشعبيين لبدو البشارية أجمعت على أنـه يسـتخدم لعلاج المغص بعد أن يضاف إليه منقوع القرض، وكفـاتح للشـهية للمرضـى البالغين والأطفال. أما لبن النوق (أنثى الجمل) فيستخدمه المطببون الشـعبيون لإنزال ديدان البطن. يستمر تقديمه للمريض لمدة ١٤ يوما على التوالى بعد أن يضاف إليه الحنظل، ويستخدم أحياناً أخرى كمادة مطهرة للجـروح البسـيطة والمتقيحة.

كما كشفت الدراسة الميدانية أن هناك علاقة بين اللبن وبين مرحلة الطفولة، ليس فقط لكونه وجبة غذائية أساسية فى هذه المرحلة العمرية، بل لأنـه يمثـل كذلك عنصراً علاجياً، أو يدخل فى تجهيز العديد مـن الممارسـات العلاجيـة والوقائية. فيستخدم اللبن كقطرة للعين عندما تلتهب. أو يحمـر لونهـا، حيـث تقـوم السيدة المرضعة بتقطير لبن الثدى فى عين الطفـل مباشـرة كغسـيل للعيـن من الأوساخ، وكملطف للالتهاب. وتسـتمر هـذه الممارسـة صـباحاً ومسـاء من ٣-٦ أيام، حتى تتفتح العين وتشفى من الالتهاب.

أما عن الممارسات العلاجية التى تساعد أو تعجل بعملية تسنين الطفل بدون ألم، فتذكر إحدى الإخباريات: "تقشر فصوص الثوم ويغلى فى اللبن ويقدم للطفل ليشربه، ثم تقوم الأم بتدليك اللثة الملتهبة والمتقيحة باللبن يومياً، حتـى تظهـر الأسنان". أما فى حالة تأخر الطفل عن الكلام، يشيع تدليك منطقة الفك واللسان حتى الحلق بلبن الناقة يوميا لمدة أسبوع. ويؤكد ذلك قول الإخبارية: "وبعـدها يبدأ لسان العيل ينطق ويقول بابا وبعدها يصبح الكلام سهل". ويفسـر المعتقـد الشعبى الخاصية العلاجية للبن، كما أكدته أقوال الإخباريين: "اللـبن ده سـره ربانى"، "هو علاج كل شئ عاصى". ويفسر أحد المطببين قائلا: "تدليك الفـك واللسان باللبن ده يساعد على تقوية عروق الحلق والزور واللسان فيجعل الطفل يتكلم".

النار: تمثل النار واحدة من المقومات الأساسـية للحيـاة فـى البيئـة البدويـة الصحراوية، حيث تستخدم لإرشاد القوافل التجارية أثنـاء السـير لـيلا فـى الصحراء. إلى جانب أنها وسيلة من وسائل التدفئة والطهى، بالإضافة إلى أنهـا

وسيلة من وسائل العلاج البدوى. وقد كشفت الدراســة الميدانيــة عــن تعــدد الاستخدامات العلاجية للنار فى مجتمع بدو البشارية، وذلك من خلال ما يعرف بالكى بالنار، الذى يستخدم لعلاج ألم الأسنان والصداع، حيث يقــوم المطبــب الشعبى بتسخين "المرود" أو الماسك على الفحم حتى يحمر لونه، ويقوم بوضعه على منطقة فى العنق. أما فى حالة علاج الأسنان فيكوى خاف الفكين الأيمــن والأيسر.

أما فى حالة لدغ الثعبان والعقرب، يقوم المطبب بعملية الفصد، حيث يــربط قبل مكان اللدغ وبعده بحبل من الليف حتى يتجمع السم أو الدم الفاسد، ثم يقــوم بعمل فصد "فتحة" بالموس ويسحب السم بالفم "بالمص"، ثم بعــد ذلــك يكــوى الجرح بالنار لكى يبطل آثار السم ولتعقيم الجرح حتى يلتئم.

وبالنسبة لأمراض الطفولة فيشيع استخدام الكى بالنار عنــد عــلاج القــئ المستمر للطفل، وكذلك فى حالة تأخر ظهور الأسنان، إذ يقوم المطبب بالكى فى منطقة صدر الطفل المريض، وبعدها يشفى. كذلك يستخدم الكى بعــد خــروج الرصاصة من جسم المصاب، ولعلاج عرق النسا، بأن يقوم المطبب بفتح فتحة فى كعب القدم لإخراج العرق، ثم يقوم بكيه حتى يموت هذا العصــب فتتوقــف الآلام ويشفى المريض.

رابعاً: أنماط المعالجين تبعاً للمرض

كشفت المادة الإثنوجرافية لبدو البشارية عن العلاقة التكاملية بين كل مــن النسق الطبى الشعبى والنسق الاعتقادى البدوى، الذى ســخر مقومــات البيئــة الطبيعية البدوية الصحراوية – بجميع عناصرها النباتية والحيوانية والطبيعية – لاستنباط العديد من الوصفات العلاجية والوقائية. منها ما يقوم أعضاء الأســرة البدوية البشارية بإعداده وتجهيزه بأنفسهم، يتزودون فى ذلك بالتراث المعرفــى وخبرات كبار السن فى الإعداد والتجهيز والاستخدام. وقد تدعم هذه المعرفــة من خلال أساليب التنشئة الاجتماعية، التى سمحت للأجيال الصغيرة (الأبنــاء) بتقليد ومزاملة الأجيال الكبيرة أثناء إعداد هذه الوصفات، وكيفية اســتخداماتها العلاجية والوقائية. وعرف هذا النمط من العلاج بالعلاج المنزلى، نظــراً لأن القائمين بالعلاج هم أعضاء الأسرة.

ولكن الدراسة الميدانية كشفت عن وجود أمراض أخرى وأعراض نفســية

وعصبية، وأمراض خاصة بالنساء والأطفال، لا تستطيع خبرات أعضاء الأسرة العلاجية أن تتصدى لها، (مثل المس، الجنون، المقرون، اللبسـة، المشـاهرة، الربط، تأخر المشى والكلام عند الأطفال، ديدان البطن والأذن، كسور العظام) فظهر لنا مجموعة من المعالجين المتخصصين الذين يعتمدون فـى ممارسـتهم على استخدام القرآن، أو الممارسات السحرية، أو القيـام بعمليـات علاجيـة، مستعينين فى ذلك ببعض الأدوات الطبية، كما يلى:

النوع الأول: شيخ القبيلة وكبار السن

هم الذين يقومون بقراءة القرآن والآيات القرآنية العلاجية، اقتداء برسـول اللـه صلى ا عليه سلم، سواء كان القراءة على الماء ثم يطلب من المـريض شربه أمامه، أو عمل رقية وتحويطة، أو عمل الأحجبة(*) لكى يلبسها لتحميـه وتحفظه من الأضرار. أو يوجه المريض وأهله لزيـارة الأوليـاء الصـالحين وينـذر لهم نذراً، والتبرك بمتعلقاتهم الشخصية كنوع من العلاج. وعموما فإن هذا النوع من العلاج ما زال شائعاً بـين بـدو البشـارية، ويعـرف (بعـلاج المشايـخ)، وعادة ما يأخذ صورا متعددة طبقا للأعراض وطبيعـة المـرض علـى النحو التالى:

(أ) العلاج بالمسبحة اليسر: هى عبارة عن مسبحة كبيرة تتكون من ١٠٥ حبة أو خرزة، يقوم شيخ القبيلة أو أحد كبار السن المعروف عنهم خبراتهم العلاجية، بتلاوة بعض الآيات القرآنية (آية الكرسى، الصمدية، الفلق، الناس)، ثـم يقـوم بالتسبيح على المسبحة (١٠٠٠ لا إله إلا ا ، ١٠٠٠ سبحان ا ، ١٠٠٠ الحمد ، ١٠٠٠ ا أكبر، ١٠٠٠ لا حول ولا قوة إلا با)، ثم يعطى حبة من هـذه المسبحة كعلاج. لعلاج حالات حصر البول يقوم الشيخ بربطها فى خـيط، ثـم يطلب من المريض ربطها حول وسطه لمدة يوم، بعدها يتم الشفاء بفك الحصر ونزول البول.

كذلك تستخدم المسبحة لعلاج عسر الولادة، بان تعلـق إحـدى خـرزات المسبحة حول رقبة السيدة أثناء الولادة. ولا تقتصر وظيفة المسبحة على العلاج

(*) الحجاب: تكتب بعض الآيات القرآنية فى ورقة بالحبر الأحمر أو الأخضر، وتوضع فى كيس من الجلد حتى لا تتلف، وتوضع فى مكان بعيد عن الأعين تحت الملابس أو بالجيب، أو بالمحفظة بالنسبة للبالغين.

فقط، بل تستخدم فى كثير من الأحيان للوقاية من الحسد والعين الشريرة. وعادة ما يلبس الأطفال "المقيرنة" حبة من هذا الخرز طوال السنة الأولى بعد ولادتـه كنوع من الحماية من القرين الذى يتسبب فى موته.

(ب) طاسة الخضة: هى عبارة عن إناء من المعدن (نحاس أو فضة أو حديـد) يأخذ الشكل الدائرى (مثل الطبق أو الصحن)، منقوش جداره بـبعض الآيـات القرآنية (آية الكرسى، سورة الفلق، سورة الناس). ولقد اشتهر اسـتخدام هـذه الطاسة بواسطة المشايخ وكبار السن لـدى بـدو البشـارية لعـلاج الخضـة (الخلعـة)، التى تحدث للبالغين والأطفال، إذ يقوم الشيخ بجمع سـبعة أنـواع مـن الحبوب (عدس، فول، تـرمس، أرز، حلبـة، ذرة، شـعير)، ثـم يقـدم للمريـض منقوع السبع حبوب ليشربه، بعدها يتم الشفاء من الخضة.

أما بالنسبة لعلاج حالة الفزع من النـوم عنـد الأطفـال، فتتكـرر نفـس الممارسـة السابقة، ثم يعمل حجاب تكتب فيه بعض الآيات والسـور القرآنيـة (آية الكرسى، الإخلاص، الفلق، الناس) يلبسه الطفل تحت ملابسه الخارجيـة. أمـا بالنسبة للبالغين، فبعد أن يشرب منقوع السبع حبوب يطلب منـه الشـيخ لبـس خاتم مصنوع من النحاس أو الفضة أو الحديد، وزنه ثلاث جرامات بغية العلاج والوقاية، ذلك لاعتقادهم الشديد بقدرة المعدن علـى حمايـة وحراسـة الإنسان من ضرر أعمال السحر والشيطان. ويؤكد ذلك قول أحد الإخبـاريين: (المعدن ده هو اللى بنعمل منه سلاحنا السكين، والخنجر والسيف، يعنى هو اللى يحمى الزول منا، عشان كده احنا بنحب نلبسه ونعتقد فيه أنه يحرسنا ويحمينـا من الشيطان اللى هو السبب فى الفزع "كابوس النوم").

(ج) التبرك بزيارة الأولياء ومتعلقاتهم الشخصية: كشفت الدراسة الميدانية عن قوة الاعتقاد بالأولياء وكراماتهم العلاجية، ولقد أكـدت ذلـك أقـوال غالبيـة الإخباريين من بدو البشارية، بأن زيارة أولياء ا والتبرك بمتعلقاتهم الشخصية كالعمامة أو المسبحة أو جزء من قماش كسوة الضريح، يكون سبباً لشفاء كثيـر من الأمراض. ومن الأولياء الذين يعتقد بكراماتهم العلاجية: الشيخ أبو الحسـن الشاذلى بصحراء عيذاب، والحاج حسن الأسـوانى بمدينـة أسـوان، والشـيخ أبواليزيد البسطامى بقرية الكوبانية.

ومن أقوال الإخباريين حول التبرك: "ده احنا بنعتقد أنه لـو المـريض زار

مشايخنا، ولبس عمامته أو مسك مسبحته وتبرك بها ده وحده يشفيه. ولـو زاره وندر عند زيارته ندر ده وحده يشفيه. عشان كده إحنا دايما نحرص لما نـزور أبو الحسن الشاذلى فى مولده أو الحاج حسن الأسوانى أن نأخذ حتة من كسوته ونربطها فى هدومنا التحتانية أو نحطها فى الحفظة حتى لا يراهـا أحـد، وده يحمى ويحفظ من العين، ويبطل أى عمل معمول للواحد".

ولقد كشفت الدراسة الميدانية أن الاعتقاد فى الكرامات العلاجية لا يقتصـر على الأولياء، بل امتدت قوة الاعتقاد لتشمل أماكن معينة، يعتقدون أن زيارتهـا تقوم بنفس وظيفة زيارة الأولياء فى شفاء مرضاهم، وتحقيق أمانيهم فى الحيـاة وحل مشاكلهم. ومن هذه الأماكن جبانة أسوان، وقاضـى الشـريعة، والسـبعة وسبعين ولى بمدينة أسوان.

(د) جبانة أسوان ومقام السبعة وسبعين ولى: تقع جبانة أسـوان فـى مدينـة أسوان فى الجزء الجنوبى الشرقى من كردون المدينة. وبعد الزحف العمرانـى والزيادة السكانية لهذا المجتمع، أصبح موقع جبانة أسوان(٢٢)(*) وسط المدينـة. وترجع شهرة هذه الجبانة دون غيرها من الجبانات، ما ورد عنها فـى بعـض الكتب التاريخية، أنها كانت ساحة للقتال والاستشهاد أيـام الفـتح الإسـلامى، وبالتحديد فى عهد عمرو بن العاص. وتحكى كتب التاريخ أنه حـدثت واقعـة حربية استشهد فيها من أولياء ا الصالحين ومن الصحابة القادمين مع عمـرو بن العاص ما يزيد عن ثلاثمائة شهيد، ومن هنا جاءت شهرة هذا المكان. كمـا يوجد داخل الجبانة مقام يعرف بـ السبعة وسبعين ولى، وهو عبارة عن مقـام مدفون به مجموعة من أولياء ا الصالحين الذين استشهدوا، ويقـدر عـددهم حسب رواية الإخباريين سبعة وسبعون، ممن شاركوا فى فتح البوابة الجنوبيـة لمصر فى عهد عمرو بن العاص، ومن هذه الواقعة أطلق على هذا المقام اسـم السبعة وسبعين ولى.

ويصور المعتقد الشعبى بأن الزيارة والدعاء فى جبانة أسوان بنية الشفاء أو قضاء الحاجة مجاب. وعادة ما تتم زيارة هذا المكان يوم الجمعة مـن السـاعة السابعة صباحا وحتى موعد آذان العصر. ويراعى لقضاء الحاجـة أن تكـون

(*) جبانة أسوان وما بها من أولياء من الأماكن التى تحتاج إلى دراسة متعمقة، وهى ضمن المنظومة التى عدتها وتعهدت بدراستها كاتبة هذه السطور لدراسة التراث الشـعبى لمنطقـة جنوب الوادى.

الزيارة ثلاث مرات متتالية، وعادة ما تأخذ النذور لهذا المكان أشكالاً متباينـة، مثل: الحيوانات الماعز، الأغنام، الطيور، حيث تذبح فى مقام السبعة وسـبعين ولى وتوزع على المحيطين من الفقراء. كما قد تأخذ النذور شكل النقود توضع فى صندوق النذور فى المقام أو تعطى للنقيب القائم على خدمة المقـام. ولقـد اعتاد بدو البشارية الذهاب إلى هذه الأماكن لاعتقادهم أنها تشفى أمراض العقم، المسة، المعتوه، تأخر زواج الإناث بسبب العمـولات (أى الأعمـال السـحرية الضارة).

وحول جبانة أسوان ومقام السبعة وسبعين ولى يتردد العديد من الحكايـات وخاصة عن الكرامات العلاجية، نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر: يروى أحد الإخباريين من بدو البشارية: "أن امرأة بشارية لم تنجب بعد زواجها لمـدة خمس سنوات، نصحها شيخ القبيلة بزيارة جبانة أسوان ومقام السبعة وسـبعين ولى، وبعدها حملت وأنجبت أكثر من عيل ببركة أوليـاء ا الصـالحين فـى الجبانة والسبعة وسبعين ولى. وفى أول زيارة نذرت دبيحة لو تحقق المطلـوب وفعلا كل سنة تروح تزور هى والعيال وتدبح دبيحة".

النوع الثانى: المطببون الشعبيون والسحرة المطببين

المطببون: هم الذين يقومون بإعداد وتجهيز الوصفات العلاجيـة، مسـتخدمين عناصر البيئة، من نباتات وأعشاب ودهون حيوانية وزيوت الطيور، والعناصر البيئة المنزلية، بغية العلاج والوقاية.

أما السحرة: هم الذين يقومون باستخدام السحر مثل: فتح الكتاب – كشف الأثر، ضرب الرمل، أو عمل الأعمال للأضرار بالآخرين مثل ربـط العـريس ليلـة الدخلة، تسخير الجن لأذى الناس.. إلخ. ولقد كشـفت الدراسـة اسـتمرار دور المطببين الشعبيين فى عمل وتجهيز الوصفات العلاجية أو العلاج بالفصد والكى بالنار، أما عن دور السحر فهو أقل انتشاراً باستثناء بعـض الأمـراض مثـل (المس، الجنون، الربط.. إلخ) وعموما سبق وأن أشرنا فى السطور السابقة إلى دور المطببين الشعبيين فى العلاج، وسوف نقصر حديثنا هنا عن العلاج بالسحر الذى أخذ صوراً متعددة نذكر منها:

(أ) ضرب الرمل: من أساليب العلاج بالسحر الشـائعة والمشـهور بهـا بـدو البشارية، وهى أن يقوم المريض بوضع كفى يديه على كوم من الرمل، وبمجرد

أن تطبع كف المريض على الرمل يقوم الساحر بوضع سبع زلطات فى كفه، ثم يغلق يداه عليها، بعدها يعلن الساحر عن المتسبب فى الحسد أو العين الشريرة، ثم يقوم بصنع عروسة من الورق يقوم بوخزها بإبرة مع ذكر أسماء الأشخاص المحتمل أن يكونوا قد تسببوا فى الحسد (يقول: من عين فلان أو فلانة)، حتـى يتم تخريم جسم العروسة كلها، ثم يشعل فيها النار حتى تحترق، ويأخذ السـاحر بقايا الحريق (الرماد) ليرسم به صليباً على وجه المريض، وهم يعتقدون أن هذه الطقوس كفيلة بأن تزيل السبب ويتم الشفاء.

(ب) فتح المندل: يقصد به الكشف عن العمل (السحر) المعمـول لجلـب الأضـرار للآخرين. من ذلك مثلاً تأخير زواج بنت فلان، أو إلحاق الضـرر بفلانة أو بأبنائها لأنها كثيرة إنجاب الذكور، أو ربط العريس ليلة الدخلة وإفشال زواجه، أو توقف الإنجاب، أو الإصابة بأمراض مستعصية على العـلاج مثـل موت الأطفال فى يوم ميلادهم، وعدم الإنجاب، والإصابة بأمراض يفقد بها كل أمواله حتى يفلس.

ولقد لاحظت الباحثة أن أهالى مدينة أسوان ومدينة دراو، أكثر المتـرددين على السحرة البشارية لإبطال الأعمال. ومن الممارسات السحرية الشائعة فيمـا بين بدو البشارية، لعلاج أمراض الطفولة مثل الحسد، النكد (كثرة البكاء)، عدم القدرة على المشى. يقول أحد إخباريى المجتمع: "نروح للساحر وهـو يجيـب صحن أو صينية نحاس، ويحط جواها شوية مية ويغطيها بصحن آخر، ثم يقرأ عليها بكلمات غير مفهومة، بعدها يشيل الصحن تلاقى العمل ظهر فى الصينية النحاس أو الصحن الآخر قطعة حجر أو قطعة قماش أو ورقة مكتوب عليهـا، يأخد الساحر العمل بعد ما يوريه لنا ويعمل على إبطاله بفكه ويرميه فـى ميـة جارية".

ويؤكد معظم إخبارى المجتمع أن الأمـراض مثـل الجنـون، والمسـة، والمقيرنة، أمراض ترجع فى الأصل إلـى أعمـال سـحرية بسـبب العـداوة والبغضاء بين الأهل والأقارب، ولا يمكن الشفاء منها إلا بالذهاب إلى السـاحر لكى يفتح المندل ويعرف العمل ثم يقوم بإبطاله.

فمن الممارسات العلاجية الشائعة لعلاج الست المقيرنة، يلجأ المعتقد الشعبى البدوى إلى قتل الطيور أو الحيوانات كبديل عن موت الطفل فى الوقت كإرضاء للقرينة.

ومن الشائع لدى بدو البشارية أن يطلب الساحر من الأم المقيرنة أن تلـبس فردة حجل (خلخال)، يقوم الحداد بصنعه لها، ويلبس طفلها الفردة الثانيـة، أو يقوم الساحر بعمل حجاب مكتوب بدم الطير المذبوح ويضع به عـود كبريـت وقطعة من جلد الغزال وعقرب ميت، ويوضع الجميع بكيس من القماش يغلـق بالخيط والإبرة، ثم يوضع فى ملابس الطفل أو يوضع تحت رأس الطفل وهـو نائم، أو قد يقوم الساحر بعمل عقاد(*).

أما أساليب العلاج الخاصة بصراخ الطفل المستمر، فعادة ما يفسرها المعتقد الشعبى البدوى، بأنه مس من الجن، أو بسبب الحسد، وعندما يذهب ذوو الطفل إلى الساحر يقوم بإجراء ممارسة خاصة بأن يحضر جرة (بلاص) ماء بـارد، يحمل الطفل ويخطى به على الجرة سبع مرت، ثم يخرم أذنيه ويعلق به حلـق (قرط) من ذهب.

أما فى حالة تأخر الطفل فى المشى، أو عدم قدرته علـى المشـى، فيقـوم الساحر بربط خوصة من جريد النخيل فى يديه ورجليـه، ويقـوم بتشـريطها بالموس، ويطلب من الأم أن تحمل الطفل إلى الجامع، وتضع فى حجره بعض الحلوى ونقود معدنية، وتطلب من أول من يخرج من المصـلين بحـل يديـه ورجليه، ويأخذ ما فى حجره، بعدها يشفى الطفل ويقدر على المشـى. ويفسـر المعتقد الشعبى البدوى هذه الممارسة العلاجية، بأن قرينه كان يقيـده ويمنعـه مـن الحركة والمشى، وأنه عندما تم تفصيد رجل الطفل (القدم) وخروج الدم، خاف القرين، ثم قدم له الحلوى والنقود لكى يلهو بها وينصرف عن الطفل.

أما عن الطقوس العلاجية لعقم السيدات، يذكر أحـد الإخبـاريين: "يقـوم الساحر بوخز رجل السيدة العاقر بإبرة سبع وخذات، ثم يطلب منها أن تسـير وسط القبور فى جبانة أسوان، وتكرر هذه العملية سبع مرات، ويطلب منها أن تذبح طيراً أو أرنباً وتتظفر (تستحم بدمه)، وتظل بهذا الطلاء لمدة يـوم، ثـم يطلب منها الدخول على ميت قبل غسله، ثم تستحم بماء غسل الميت. أو تخطى على دم الأضحية (ماعز أو شاه)، تذهب بعد ذلك إلى سيدة نفساء لتحلب علـى رأسها من لبن ثديها. ويفسر المعتقد الشعبى البدوى هذه الممارسة العلاجية على

(*) يحضر الساحر خيطاً على قدر طوله، ويقوم بعمل عقد صغيرة سبع مرات، ثم يعلقه فى رقبة الطفل أو حول معصمه.

أنها ممارسة تساعد على تليين ظهر وعروق المرأة العاقر، وهذا يؤدى إلى فك المشاهرة ويحدث الحمل.

كما يقوم الساحر بالاستعانة بالحجر الجبلى – بعد طحنه وغربلته وقـراءة بعض التعاويذ السحرية عليه – بنقعه فى الماء البارد لمدة من ٣-٥ أيام، يقـدم بعدها للسيدة العاقر لتستحم به. ويفسر المعتقد الشعبى البدوى هذه الممارسة أن الحجر الجبلى هو المكان الذى تعيش فيه الشياطين والأرواح الشـريرة التـى تسبب عادة العقم عند السيدات.

النوع الثالث: المتخصصون بإجراء العمليات الجراحية

لقد كشفت الدراسة الميدانية عن وجود بعض الأشخاص الذين تخصصـوا فـى علاج بعض الأمراض بمجتمع الدراسة، ومن اللافت للانتباه هـو أنهـم ينهجون نفس خطوات العلاج بالطـب الرسـمى، حيـث يبـدأون بتشـخيص الأعـراض المرضية، ثم تحديد المعالج المتخصص، بالإضافة إلى أن هنـاك بعض الممارسات التى تأخذ صورة عمليات علاجية يسـتعان فيهـا بـأدوات شعبيـة ذات تصنيع محلى، لإتمام هذه العمليات، بغية تحقيق الشفاء لمرضاهم. وهؤلاء المتخصصون القائمون بالعلاج هم:

(أ) المتخصصون فى تشخيص المرض وتحديد المعالج: يعتمد مجتمع الدراسـة على الدور الهام الذى يقوم به بعض كبار السن من ذوى الخبـرة فـى مجـال التطبيب الشعبى فى تحديد نوع المرض، بمجرد النظر إلى الشخص المـريض، ومعرفة الأعراض المرضية التى تبدو عليه، والتى يحس بهـا، ويعلـن عنهـا بنفسه. ويعرف هؤلاء بـ (أهل الخبرة)، حيث أنهم يقومـون بتحديـد العـلاج المناسب من خلال توجيه انتباه أهل المريض والمريض نفسه أن يـذهب إلـى المعالج المتخصص فى مرضه.

فعلى سبيل المثال، يروى أحد الإخباريين أن هناك شاباً أصـيب بالهيـاج والصراخ، ثم أغمى عليه، ولما عرض على أهل الخبرة من كبار السن، أجمعوا فى ضوء الأعراض أن هذا الشخص مصاب بالصرع، وذلـك بسـبب دخـول الأرواح الشريرة فى جسمه، لأنه سار على قبر ميت وهو نجس أو جلس فـى أماكن نجسة (مثل محل الأدب أى دورة المياه). وبعد الاستشارة أجمـع أهـل الخبرة ضرورة أن يذهب هذا الشاب إلى رجال الدين فى القبيلة الذين يتولـون

العلاج بالقرآن، لطرد هذه الأرواح من جسمه ونقلها إلى جسم آخـر. ويؤكـد الإخبارى أن عملية النقل لا تتم بسهولة إلا بعد موافقة الشخص الـذى سـتنقل إليـه، ومع ذلك لا تمثل هذه الممارسة علاجاً نهائياً، ولكنها علاج مؤقـت، أى أن هذا الشخص معرض لعودة هذا المرض إليه مرة ثانية. وفى هذه الحالة يقوم رجل الدين بعمل حجاب لكى يحميه من دخول الأرواح إلى جسمه مرة ثانية.

(ب) المتخصصون فى إجراء العمليات العلاجية الجراحيـة: كشفت الدراسة عن أن المتخصصين بالعلاج بمجتمع الدراسة مـن أشـهرهم المـزين (الحـلاق) والمجبراتى. ومن العمليات الشائعة فى العلاج الشعبى البـدوى، ويقـوم بهـا المزين، الكى بالنار والتفصيد والحجامة وخلع الأسنان، أما علاج الكسور فيقوم بها المجبراتى. وفيما يلى وصف لأشهر العمليات العلاجية فـى نسـق الطـب الشعبى البدوى لبدو الشارية.

الكى بالنار: لقد سبق وأن أشرنا فى موضع سابق دور أهل الخبرة المتخصصين فى تشخيص المرض، وبالتالى هم الذين يحددون نمط العلاج. وعمومـاً هنـاك شبه إجماع بأن أعضاء مجتمع البدو لا يلجأون إلى عملية الكـى بالنـار إلا إذا أعيتهم الحيلة بالعلاج بالوصفات الشعبية، أو بالممارسات الدينية. وفـى ضـوء ذلك لا يكون هناك مفر من العلاج بإجراء عمليات علاجية. ومن أشهر العمليات العلاجية التى يعرفها نسق الطب الشعبى البدوى (الكى بالنار)، والتى يقوم بهـا المزين، وهذه العملية ليست قاصرة على علاج مرض بعينه، بل هى مشـهورة لعلاج جميع الأمراض والأعراض المرضية، مثل وجع الأسنان، وهنـا يكـون الكى فى منطقة العنق عند البالغين. أما فى حالة أمراض الأطفال مثـل تـأخر ظهور الأسنان للأطفال المصابين بتقيئ لبن الرضاعة، فإن جميع هذه الحـالات يتم علاجها بعملية كى عظمة الريشة التى تقع بين البطن والصدر. وأمـا فـى حالـة الصداع المستمر فيكون الكى فى الصدغين بجـوار العـين اليمنـى أو اليسرى، بـأن يقوم المطبب الشعبى بالتحسس بأصابع يده من الـرأس هابطـاً نحـو الصدغين حتى يستطيع أن يحدد العرق المسبب لألـم الصـداع، وبعـد تحديده يقوم بوضع الماسك المحمى عليه لكيه، وبذلك يتوقـف الألـم ويشـفى المريض من ألم الصداع المستمر. ويروى لنا المطبب الشعبى الذى يقوم بعملية الكى بالنار لعلاج مرض عرق النسا، بأن يبدأ المـزين بـأن يمسـك بالقـدم ويتحسـس بأصابعه سير العصب من الركبة حتى يصل إلى أسفل الساق حتـى

منطقة الأصابع والقدم ثم الكعب، وعند منطقة الكعب يقوم المعالج بعمل فصـد بجوار الكعب (بعمل فتحة صغيرة)، باستخدام مـوس الحلاقـة بعـد تطهيـره بالنـار، ثم يمسك بالعرق ويظل يسحبه للخارج حتى يكويه باسـتخدام المـرود الساخن (قضيب من الحديد) حتى يميت العصب المتسبب فى الألم، ثـم يكـوى الجرح حتى يلتئم ويتم الشفاء.

التفصيد: من العمليات العلاجية التى تشيع فيما بين أعضاء المجتمـع البـدوى لعلاج عديد من الأعراض المرضية، نذكر منها: استخراج السموم عنـد لـدغ الثعبان والعقرب، والصداع. والتفصيد يكون فى وسط الرأس أو بجانب العينين.

ويؤكد المعتقد الشعبى أن السبب وراء هذه الأعراض المرضية هو وجـود دم فاسد بالجسم وهو الذى يسبب هذه الأعراض، وبخروج هذا الدم يتم الشـفاء وإنقاذ حياة المريض من الموت. لذا يلجأ المزين عندما يعالج لدغ العقـرب أو الثعبان أن يحدد مكان اللدغة ثم يربط أعلاها برباط قوى حتى يتحكم فى عـدم سريان الدم إلى القلب، ثم يقوم بتطهير موس حلاقة بمادة مطهرة (كيروسين) أو بالنار، ويفتح به مكان اللدغ ويمتص الدم من هذه الفتحة بفمه ويبصـقه علـى الأرض، وتستمر هذه العملية حتى يتأكد من سحب السم من الجسم. وذلك بتغيير لون الدم من اللون الغامق إلى اللون الأحمر الفاتح، ثم يقوم بكى الجرح حتى لا يتلوث ويسارع فى الالتئام، ويقدم للمريض سمن دافئ (أو زيت) ليشربه ويلـف جسمه ويترك لينام.

الحجامة: تشتهر هذه العملية فى علاج نزلات البـرد وضـغط الـدم المرتفـع والنزيف. تبدأ هذه العملية بأن يقوم المطبب بإحضار كوب مـن الزجـاج، ثـم يشعل النار فى قطعة من قطن أو قماش يضعها فى الكوب ويقلبه علـى ظهـر المريض فى مكان يحدده هو فى ضوء خبرته، فيحترق الهواء داخـل الكـوب فيلتصق الكوب بالجسم حيث يرتفع الجلد ويترك الكوب علـى الظهـر حتـى يتحـرك وحده (يفك)، وتكرر هذه العملية من ٣-٤ مرات بأماكن متعددة مـن الظهر. بعد ذلك يحضر موس حلاقة ويقوم بتطهيره ويفصد الجلد فـى مكـان الكوب حتى يخرج الدم الذى يعتقد أنه دم فاسد، وبخروج الدم يزول الألم الـذى يشكو منه المريض.

تجبير كسور العظام: يعرف مجتمع البحث معالجاً متخصصاً لعلاج **الرضوض**

والكسور التى تحدث عادة بسبب السقوط من على ظهور الـدواب (الجمـال، الحمير)، أو حمل أشياء ثقيلة تتسبب فى تمزق أنسجة الظهر. وتعتمـد عمليـة معالجة الرضوض والكسور والمزق على قيـام المجبراتـى بتـدليك العضـو المصاب بالماء الدافئ والملح، ثم شد العضو حتى يعود إلى وضعه الطبيعـى، وفى حالة ما إذا كان هناك **ورم أو جرح مع المزق أو الرضوض،** فعادة ما يتم علاج الجرح بغسله بالماء والملح لتطهيره ولإيقاف النزيف، ثم يقـوم بتـدليك العضو بالزيت الدافئ حتى يعود إلى وضعه الطبيعى. كما يقوم بعمل وصـفة علاجية **لامتصاص الورم والألـم** من عجينة البامية الجافة وذلك بعجن الباميـة الجافة بالماء بعد طحنها وغربلتها، ويقوم بفردها على العضو المصاب، وبعـد جفاف العجينة يقوم بربط العضو المصاب بشاش وقطن ويترك لمدة مـن٣-٧ أيام حتى تفك لبخة البامية بمفردها، وذلك مؤشر بزوال الورم والألم.

أما فى حالة الكسور: فيتم العلاج عن طريق عمليـة التجبيـر بإحضـار شرائح من جريد النخيل اللين، ثم يقوم المجبر بتدليك العضو المكسـور بالمـاء الدافئ والملح، ثم شد العضو المكسور بقوة حتى يتم إرجاعه إلى مكانه الطبيعى، ثم يقوم بوضع الجبيرة وهى عبارة عن قطعتين مـن شـرائح جريـد النخيـل إحداهـا من أسفل الكسر والأخرى من فوقه، ويضع لبخة البيض النيئ والزيت التى تساعد الجبيرة على تثبيت العضو المكسور فى مكانه، ويربط فوق الجبيرة بالشاش، ويترك لمدة من ٣٠-٤٥ يوماً. بعد ذلك يقوم المجبـر بفـك الربـاط والجبيرة ويضغط ويتحسس العضو المكسور، فإذا تألم المريض فذلك يعنـى أن الكسر لم يلتئم بعد، حيث يعاود تكرار الجبيرة مرة ثانية، أما إذا لم يتألم فيعنـى ذلك التئام الكسر وتمام الشفاء.

خامساً: نسق الطب الشعبي البدوي بين الثبات والتغيير

في ضوء ما كشفت عنه الدراسة وتأسيساً على عرضـنا السـابق للمـادة الإثنوجرافية للطب الشعبي البدوى لبدو البشارية، تشير النتائج إلى اسـتمرارية غالبية الممارسات العلاجية الشعبية سواء منها مـا يـتم إعـداده واسـتخدامه كوصفات علاجية أو وقائية داخل المنزل، أو ما يتم إعداده واستخدامه كوصفات علاجية خارج المنزل من خلال المطببـين الشـعبيين، أو السـحرة، أو كبـار السـن، أو شيخ القبيلة.

وهناك عدد من الأسباب والعوامل وراء استمرار الممارسـات العلاجيـة الشعبية لدى بدو البشارية وتمسكهم بنسقهم الطبي الشعبي وهى:

١- الخبرات الشخصية: تعتبر في مقدمة العوامل التي ساهمت في اسـتمرارية تمسك بدو البشارية باستخدام الممارسات العلاجية الشعبية، وذلك للـدور الـذي تلعبه الخبرات الشخصية لجيل الأجداد في دعم هذه الممارسات على المستويين كليهما، ما يتم إعداده وممارسته داخل المنزل، وما يـتم إعـداده واسـتخدامه بواسطة المطببين الشعبيين والسحرة وكبار السن وشيخ القبيلة. وهذه الممارسات تؤكد فاعليتها وقدرتها على تحقيق الغرض الذي أعدت مـن أجلـه، ألا وهـو مقاومة الأعراض والألم وتحقيق الشفاء من المرض.

٢- خصوبة البيئة البدوية الصحراوية بالمقومات البيئية الطبيعية: تتمتع البيئة الصحراوية بخصوصية توفر العناصر الطبيعية التـي تأخـذ شـكل النباتـات والأعشاب تارة، أو عناصر بيئية طبيعية، (شمس، هواء، رمال) تارة أخرى، أو بيئة لكثير من الحيوانات والطيور (النعام، طائر البلسان، الجمـال، المواشـي، الأغنام) تارة ثالثة.

٣- تأدية هذا النسق لوظيفة مادية اقتصادية: لقد ساهم توفر عناصر ومقومات البيئة الطبيعية لبدو البشارية طوال العام، في ظهور فئـة المطببـين الشـعبيين والسحرة المحترفين، الذين اتخذوا من تجميع هذه المقومات والعناصر الطبيعية، ثم تجهيزها في صورة وصفات وقائية وعلاجية، سواء بصـورتها الخـام، أو إضافة عناصر جديدة إليها أو بتغيير شكلها بالطحن أو الغلي أو النقع في المـاء أو في اللبن، اتخذوا من ذلك مهنة يعملون بها لتحقيق عائد مادي أو اقتصـادي. حيث كشفت الدراسة الميدانية أن فئة المطببين الشعبيين والسـحرة المحتـرفين ليست قاصرة على تقديمها للمرضى من بدو البشارية، بل يستعين بهـا أيضـاً أهالي مدن أسوان ودراو وكوم أمبو، نظراً لشهرة هؤلاء المطببين عبر حـدود محافظة أسوان.

٤- العزلة الثقافية والمكانية لهذا المجتمع: لقد أكدت الدراسـة علـى عامـل العزلة المكانية، حيث يسكن غالبية بدو البشارية في الصحراء الشرقية المحازية لمحافظة أسوان، باستثناء بعض البيوت التي تقترب من حدود مدينـة أسـوان ومدينة دراو. وقد ساهم ذلك في استمرارية الثقافة البدوية بصورتها الخالصـة،

حتى مع البيوت التي تقترب من حدود مدينة أسوان ومدينة دراو (مـن حيـث استمرارية النشاط الاقتصادى الرعوي وتجارة الأعشـاب وسـكني الخيـام أو المنازل شبه الريفية وعادات الطعام). كما ساهم ذلك في عدم الاستفادة بخدمات النسق الطبي الرسمي بسبب صعوبة المواصلات وطـول الوقـت المسـتغرق للوصول للخدمة الرسمية، علاوة على قصور تلك الخدمة لتقديم العلاج لأمراض البيئة لبدو البشارية، كأمراض الروماتيزم، والمعدة، والكلى، ولدغات الزواحف (العقرب والثعابين)، والأمراض الوراثية الناتجة عن الزواج القرابي. ومن ثـم يتزايد التمسك والاعتماد على – البدائل – العلاج الشعبي الميسور، سـواء مـا يمارس داخل المنزل، أو ما يمارسه المطببون الشعبيون والسحرة المحترفـون والمشايخ.

كما كشفت الدراسة – وأكده أقوال الإخباريين – بأن هناك بعض الأمراض كالروماتيزم وآلام الظهر، وبعض الأعراض النفسية والعقلية (لمسة، المقيرنة)، والعقم، وعجز الطب الرسمي عن إحراز تقدم ملحوظ فيها خصوصـاً بالنسـبة للحالات المرضية لبعض البيوت التي تسكن بالقرب من مدينة أسـوان، ومـدن دراو وكوم أمبو، مما دعم الوظائف السيكولوجية والثقافيـة بالتمسـك بالطـب الشعبي البدوي.

ونخلص مما سبق إلى تأكيد الاستمرارية والثبات النسبي لوظيفـة النسـق الطبي الشعبي البدوي لمواجهة أمراض البيئة وغيرها لبـدو البشـارية، إلا أن هناك بعض المؤشرات التى تشير إلى ظهور ميل نسبي للتغيير، بمعنى تفضيل الاستعانة بالطب الرسمي في بعض الحالات، وانحسـار بعـض الممارسـات الشعبية العلاجية لدى بعض البيوت من بدو البشارية. ويرجع ذلك إلـى تـوفر مجموعة من العوامل أدت إلى حدوث تغيير في النسق العام للمجتمع البدوي، ثم انسحب هذا التغيير على بعض الأنساق الفرعية مثـل نسـق الطـب الشـعبي البـدوي، وهذه العوامل هى:

التغيرات الاقتصادية والاجتماعية في منطقة أسوان

١- تأتي في مقدمة هذه العوامل التي تعرضت لها منطقة أسـوان فـي فتـرة الستينيات من القرن الماضي، التغيرات الاقتصادية والاجتماعية نتيجة ظهـور عدد من **المشاريع الصناعية** مثل مشروع السد العالي ومشروع مصـنع كيمـا

للسماد ومناجم الحديد، **والنشاط السياحي** المتزايد .. كل ذلك زاد مـن فرصـة تأثر جماعات بدو البشارية من حيث أثر الامتداد العمراني لمدينة أسوان بالتوسع شرقاً على أماكن تجمع بدو البشارية، لاستيعاب الأعداد الوافدة من محافظـات الجمهورية للعمل في هذه المشاريع، مما أدى إلى انتقال تلك القبائل إلى خـارج حدود المدينة داخل الصحراء.

٢- كما لوحظ أن النشاط الرعوي والتجاري لم يعودا من الحرف الأساسية، بل ظهرت أنشطه أخرى مثل **النشاط الزراعي**، فأصبحت الزراعة تحتل مكانها فيما بين الأنشطة الاقتصادية الصحراوية نتيجة لاتجاه بعض بيوتات هذه القبائل إلى الخروج نحو وادي النيل، واستقرارهم بالقرب من القرى والاشتغال بالزراعـة كما هو الحال في قريتي المحرقة والسيالة.

٣- زيادة الاتجاه نحو تعليم الأبناء: ولقد ترتب على تغير النشاط الاقتصـادي، إقبال بعض من بيوت بدو البشارية للانتقال والإقامة بالقرب من حدود مدن كوم أمبو ودراو، وانعكس ذلك الاحتكاك على الاتجاه نحو تعليم الأبناء الذكور حتى مستوى التعليم الفني، بغية الحصول على شهادة تؤهل للعمل في وظيفة حكومية يغلب عليها طابع الاستقرار. ومع أواخر السبعينيات من القرن الماضـي قـوي الاتجاه بين بيوت البشارية نحو تعليم الإناث أيضاً حتى مرحلة التعليم الإعدادي والثانوي الفني.

٤- توفير خدمة الكهرباء بالريف وانتشار وسائل الإعلام: لقد حظي الريف في منطقة أسوان في الفترة من أواخر الستينيات حتى السـبعينيات بتـوفير خدمـة الكهرباء إلى معظم المنـازل بـاختلاف مسـتوياتها وشـرائحها الاجتماعيـة والاقتصادية، مما شجع الغالبية من بيوت البدو المقيمين على حدود القرى مـن الاستفادة من الكهرباء، والتي ترتب عليها انتشار وسائل الإعلام المختلفة (راديو – تليفزيون)، وقد مارست هذه الوسائل دوراً هاماً في الانتفـاع بنسـق الطـب الرسمي، من خلال ما يبثه من برامج المرأة، الطفـل، الصـحة، الإعلانـات، حملات التطعيم.

٥- توفير خدمة المؤسسات العلاجية بالريف: في السنوات الأخيرة مـن عقـد التسعينيات وفرت الدولة العديد من المؤسسات العلاجية الحكومية كالمستشفيات العامة، والمستوصفات العلاجية المتعددة، إلى جانب العيادات الخاصة، عـلاوة

على افتتاح عدد ليس بالقليل من الصيدليات في القرى. كل ذلـك سـاهم فـي الاتجـاه نحو إعادة النظر في الممارسات الشعبية العلاجية التي تؤدي بواسـطة المطببين الشعبيين (القابلة)، والاستعاضة عنها بالطبيب والحكيمة، خصوصاً في حالات الولادة، واستخدام الأمصال ضد لدغـات الثعبان والعقرب بـدلاً مـن الفصد والكي خصوصاً لفئة الأطفال.

نتائج الدراسة

تأسيساً على العرض السابق، فقد خلصنا إلى مجموعة من النتائج نعـرض لها على النحو التالى:

١- هناك علاقة وثيقة بين نسق الطب الشعبي البدوي للبشاريين (قبيلة العلياب)، وبين سمات وخصائص البيئة الطبيعية البدوية من جهة، والنشـاط الاقتصـادي الصحراوي من جهة أخرى. وتتجسد هذه العلاقة في ثلاثة محاور هى:

أ- نوع المرض: حيث جاءت أغلب الممارسات العلاجيـة حـول الأمـراض والأعراض ذات صلة بخصائص البيئة الطبيعية البدوية الصحراوية، وطبيعـة النشاط الاقتصادي الذي يمارسونه، فلا تزال أكثر أمراض البيئة شـيوعاً بـين البدو هى الآلام الروماتيزمية (ألم المفاصل، الظهر)، عرق النسـا، الأمـراض الصدرية، أمراض الجهاز التنفسي كالحساسية والكحة، وأمراض وألـم الكلـي والمعدة، وحالات لدغ الحشرات الصحراوية السامة.

ب- نوعية العلاج: نعني العناصر التى تدخل في إعـداد الوصفات العلاجية والوقائية، فقد كشفت المادة الإثنوجرافية التى جمعت من بدو البشارية عـن أن غالبية الممارسات الوقائية والعلاجية للبدو تتعمد توظيف واستغلال ما هو متاح في البيئة البدوية الصحراوية، وما حباها ا به من مقومات وعناصـر، مثـل النباتات والأعشاب الطبية من جهة، ومقومات بيئية بعضـها طبيعـي والآخـر حيواني وغذائي لمواجهة الألم والأعراض المرضية من جهة أخرى. وبناء على ذلك تعددت صور الوصفات العلاجية طبقاً للعناصـر الداخلـة فـي إعـدادها وتجهيزها. فهناك وصفات تعتمد فقط على الأعشاب البرية، وأخـرى عناصـر نباتية، أو الجمع بينهما، وثالثة تعتمد على عناصر حيوانية، ورابعة تعتمد علـى عناصر البيئة الطبيعية، وخامسة على العناصر الغذائية.

ج- التكامل بين أساليب التنشئة والخبرات الشخصية لجيل الأجداد: لقد أكـدت الشواهد الميدانية بما لا يدع مجالاً للشك أن هناك نوعاً من التكامل بين أساليب التنشئة في المجتمع البدوي من جهة، وبين الخبرات الشخصية لجيل الأجـداد، وذلك من أجل الحفاظ على النسق الثقافي العام والهوية البدويـة، واسـتمرارية الاعتماد على نسق الطب الشعب البدوي، ويتجسد ذلك في:

- ما قامت به الخبرات الشخصية لجيل الأجداد من التوصل إلى بـدائل بيئيـة لإشباع حاجة من حاجاتهم الأساسية، وهي حاجـة التـداوي ومواجهـة الألـم والمرض بغية الشفاء. فجاءت التجربة الإنسانية القائمة علـى مبـدأ المحاولـة والخطأ، للتعرف على خصائص ما لديهم من أعشاب ونباتات وعناصر بيئيـة أخرى. هذا على المستوى الأضيق، أما على المستوى الأكثـر رحابـة، فقـد ساهمت أساليب التنشئة من خلال مبدأي التقليد والمحاكاة من جيل الأبناء لجيـل الأجداد من جهة، واصطحاب البالغين (الأجداد) لأبنائهم في مجالسهم ونشـاطهم الاقتصادي لتدريبهم على تحميل المشاق والألم، ونقص الطعام والشراب، إلـى جانب تدريبهم على كيفية التكيف مع ما يطرأ على الفرد من ظروف سيئة، وما قد يترتب عليها من نتائج، وكيفية التصدي لها ومنها ما قد يعترض الإنسان من آلام وأعراض مرضية. كل ذلك دعم في نفوسهم التمسك بالنسق الطبي الشعبي البدوي وممارسته واتباع وصفاته العلاجية، باعتباره هو الشىء المتاح والمتيسر بين أيديهم.
- ساهم النسق الطبي الشعبي البدوي في تحقيق عدة وظائف لجماعـات بـدو البشارية، منها الوظيفة الاقتصادية، إلى جانب الوظيفة السيكولوجية والثقافيـة. فتؤكد الدراسة على استمرارية الاعتماد على نسق الطب الشعبي حتـى وقـت إجراء الدراسة، ويتجسد ذلك بصور جلية فيما بين فروع قبيلة العلياب البشارية، الذين يميلون إلى نمط البداوة الخالصة.

٢- تكشف الدراسة عن وجود معالجين شعبيين متخصصين في نطاق ضيق من التخصصات:

عدد ٣ لتجبير الكسور.

عدد ٢ للعلاج بالسحر، التعاويذ وفك الأعمال وفتح الرمل.

عدد ٣ للعلاج الديني(المشايخ).

عدد ١ سيدة قابلة (داية) للتوليد وختان الإناث وفك المشاهرة.

٣- اتجاه بعض البدو الذين يسكنون على حدود القرى إلى المزاوجة بين أساليب الطب الرسمي في حالة إصابات الأطفال (لدغة العقرب والثعبـان)، والتطعـيم الثلاثي، واستمرارية الاعتماد على الوصفات والممارسات الوقائيـة والعلاجيـة للطب الشعبي البدوي.

٤- تكشف الدراسة أن أسباب التغير فى الاستعانة بممارسـات نسـق الطـب الشعبي البدوي إلى:

أ- تغيرات اقتصادية واجتماعية في البناء الاجتماعي لمنطقة أسوان فـي فتـرة الستينيات حتى وقت إجراء الدراسة، مما انعكس على زيـادة احتكـاك بعـض البيوت البدوية بالمجتمع الأكبر أسوان.

ب- إلى جانب ظهور أنشطة اقتصادية جديدة بجانب الأنشطة التقليدية، تعمل بها الأجيال الحديثة مثل الزراعة والوظائف الحكومية.

ج- الاتجاه نحو تعليم الأبناء من الجنسين فيما بين البيوت المقيمة على حـدود القرى والمدن.

ء- اتساع نطاق خدمة الكهرباء في المناطق الريفية، وانسحاب ذلك على دخول الكهرباء إلى منازل البدو.

هـ- انتشار وسائل الإعلام في منازل الريفيين البدويين.

و- اتساع مظلة الخدمة الصحية الرسمية، وتعدد أشكال المؤسسـات العلاجيـة الرسمية في المناطق الريفية في محافظة أسوان، ممـا يسـر لبـدو البشـارية الاستعانة والاستفادة بالعلاج الطبي الرسمي.

توصيات الدراسة

لقد اتفقت نتائج دراستنا عن الطب الشعبي البدوي مع نتائج واحـدة مـن الدراسات في مجال علم الصيدليات وصناعة الدواء، أشارت إلى أنـه ببـزوغ عام ٢٠٠٥م سوف تتصاعد أسعار الدواء بصورة شرسة، بحيث يصعب علـى الإنسان المريض توفير احتياجاته من الدواء[٢٣]. ولـذا تهيـب هـذه الدراسـة

بالمختصين إلى ضرورة التكامل بين العلوم الاجتماعية والعلوم الطبية للتصدي لهذه الهجمة الشرسة التي يتعرض لها الإنسان بصفة عامة، ومجتمعات العـالم الثالث بصفة خاصة، باعتبارها من الآثار السلبية لعصر العولمة وتطبيق اتفاقية الجات.

وبناء على ما تقدم توصي الباحثة إلى تكاتف جميع الباحثين في مجال علم الإيكولوجيا البشرية والأنثروبولوجيا والفولكلور بوضع منظومة متكاملة لدراسة المناطق الثقافية المختلفة في جمهورية مصر العربية، لحصر خصـائص كـل منطقة، و ما تمتلكه من مقومات طبيعية وأعشاب ونباتات يمكن توظيفها، بحيث تكفل السبل لمواجهة آثار العولمة في مجال تصنيع الدواء محلياً.

المراجع

١- **Julian H- Steward,** Theory of culture change, Chicago III University press, ٢٠٠٠, P.٣٠-٣٢

٢- **فوزي عبد الرحمن إسماعيل،** دراسة الممارسات الطبية الشعبية في الريف المصـري، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية البنات جامعة عين شمس، قسم الاجتماع، ١٩٨٤.

٣- **نجوى عبدالحميد،** نظام القرابة عند بعض الجماعات السكانية المتميزة في منطقة أسوان، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية البنات جامعة عين شمس، ١٩٨١.

٤- **شارلوت سيمور-سميث،** موسوعة علم الانسان، المفاهيم والمصطلحات الأنثروبولوجية، ترجمة مجموعة من أساتذة علم الاجتماع، إشراف محمد الجـوهري، المشـروع القـومي للترجمة، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ١٩٩، صـ ٦٨٢

٥- **Donyoder Folk Medicine** in RM Dorson (ed) folklore and folk life, the University of Chicago Press Chicago, ١٩٧٢, p ١٩٠

٦- **Depral Topham,** (Traditional Chinese medicine in orthopedic nursing) Journal of Australia copy right, ١٩٩٩ Jannetti publications inc, P. ٤٥

٧- **شارلوت سيمور-سميث،** مرجع سابق، صـ ٦٨٥

٨- **Bottner and Depral, topham** (folk medicine) in R.M Dorson Folklore and Folk life, the University of Chicago, press ٢٠٠٠, p٤٥, ١٦٩

٩- **وينفرد بلا كمان،** الناس في صعيد مصر العادات والتقاليد، ترجمة أحمد محمود، مركز الدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية، الطبعة الأولي، القاهرة ١٩٩٥، الفصل الثاني.

١٠- **Paul, A. Komstaroff,** The medical journal of Australia, Agust, ١٩٩٨, VI Gg, P.١٧.

١١- **حســـن الخولي،** الريف والمدينة في مجتمعـات العـالم الثالـث، مـدخل ثقـافي اجتماعي، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٤، صـ ٣٧١- ٤٧٢.

١٢- **Paul, A- Komstaroff,** op.cit pp.٢٠-٢٥.

١٣- **Depral, topham**, Folk medicine in R.M Dorson Folklore and Folk life, the university of Chicago, press, ٢٠٠٠, PP. ١٧٠-١٧٥

١٤- **محمد الجوهري،** الدراسة العلمية للمعتقدات الشعبية، الجزء الأول، من دليـل العمـل الميداني لجامعي التراث الشعبي، دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية ١٩٩٢.

١٥- **مصطفي محمد سعد،** البجة والعرب في العصور الوسطي، فصل في مجلة كلية الآداب جامعة القاهرة، ١٩٦٣، صـ٤
١٦- **دائرة المعارف الإسلامية،** مقال البشارية، صـ٢، صـ١٨
١٧- **عبدالمجيد عابدين،** بين الحبشة والعرب، بدون تاريخ، صـ ٢٢١، ٢٢٣.
١٨- محمد عوض، السودان الشمالي سكانه وقبائله، القاهرة، ١٩٥١، ص ٦٩.
١٩- **نجوى عبدالحميد،** المخاطر البيئية وأثرها على صحة الطفل، منشور في مجلة معهد دراسات الطفولة بعنوان أطفال في خطر، ١٩٩٠.
٢٠- **نجوى عبدالحميد،** مرجع سابق صـ٣٦٥.
٢١- **نجوى عبدالحميد،** مرجع سابق صـ٣٦٦.
٢٢- **سعاد ماهر،** محافظات مصر في العصر الإسلامي – فصل في مجلة كلية الآداب جامعة القاهرة مجلد ١، العدد الأول، مايو ١٩٥٩، جامعة القاهرة ١٩٦٣.
٢٣- **ندوة اتفاقية حقوق الملكية الفكرية الجات وانعكاساتها على الدواء في مصر،** الخميس ٢٠٠٢/٢/٢٨ بكلية الصيدلة، جامعة عين شمس.

* * *